

مواجهة التحديات من خلال المنظمات الدولية

إعداد:
د. كمال عمران

صفحة أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]

لعل المسلمين عبر تاريخهم الضارب في القدم لم يعرفوا وضعا من العسر والضيق كالوضع في هذا الزمن الرأهن ولا يفسر العسر بالوهن إذ هم يتمتعون - إجمالاً - بأسباب من التمكن غير زهيدة، ولا يمكن رد ذلك إلا إلى المفارقات. لقد كانت الموازين في الماضي وحتى في الماضي القريب على عهد الاستعمار، غير متباعدة بشكل فظيع بين دار الإسلام ودار غير الإسلام، أما بدايات القرن الحادي والعشرين فقد تناءت فيها المسافات وتعاضمت الفوارق وأصبح الشعور لدى كثير من الناس مشوبا بالحذر وتوجس الخيفة.

إنه لمن المفارقات الكبرى أن يواجه المسلم اليوم، ونخص بالذكر أهل المعرفة، سبيلين. الأولى راسب من رواسب العقل الخفية تؤكد أن كل ما يبوح به العصر الحديث من قيم أصيلة وسلوك مستقيم ومبادئ رفيعة هو من روح الإسلام. والسبيل الثانية هي الاتهام الشنيع للمسلمين والرفض الجائر للثقافة الإسلامية سواء بطريقة مكشوفة أو بطريقة مبطننة.

في الموضوع المطروح للنقاش في ندوة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أيام الحج من الجرأة المحمودة ما ينطق عن اجتهاد في التصور والمقاربة وما يشير إلى عقلية جديدة تتعامل مع الظروف الراهنة بذكاء جلي. ويعلن الطريق الصحيحة في مواجهة التحديات والسعي إلى الفوز المبين. وهو يستدعي الشجاعة في الطرح والتخلص من ذهنية الاتهام والإقبال على النقاش والمحاورة.

ينطلق هذا البحث من ثوابت لا محيد عنها وهي كالتسيج الفكري

والعملي :

الثابت الأول:

يتصل بالإسلام بوصفه الدين الصالح لكل زمان ومكان. و العلامة على ذلك يجتمع فيها النظري بالممارسة التاريخية .

الثابت الثاني:

هو قيمة السنة النبوية باعتبارها التطبيق الأمثل للقرآن الكريم وبوصفها الممارسة النموذجية للإسلام. وإن الرجوع إلى العلماء المبرزين في علوم السنة و الحديث سبيل آمنة في هذه المسألة و قد أوضحت في هذا الظرف الراهن إشكالية نظرا إلى تشعب المقاربات وتووعها وخاصة منها ما يصدر عن المنتسبين إلى الثقافة الإسلامية .

الثابت الثالث :

هو الإفادة من تاريخ المسلمين والوقوف عند الفوائد الضرورية من هذا التاريخ لأنه مختلف متنوع. فيه مراحل ذهبية و أخرى بحاجة إلى النقد .

الثابت الرابع:

هو الوعي أن الواقع الإسلامي اليوم يحتاج إلى الإصلاح على القواعد الصحيحة.

الثابت الخامس:

هو اليقين أن الاستشراف - بالطرق العلمية اللازمة - يبشر بأن المستقبل سيكون أفضل من الحاضر بالنسبة إلى المسلمين على شرط النهل الصادق و الناضج من الإسلام.

الثابت السادس:

هو الإقدام على الواقع الراهن بالفهم والوعي والدرس العقلاني وضرورة الغوص في روح العصر واستكناه المنطق الداخلي لكل منظومة حضارية أو ثقافية مخالفة للإسلام.

الثابت السابع:

هو الدعوة إلى القيم الإسلامية الأصيلة وأساسها الرحمة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وإليها ترجع كل القيم الأخرى كالسماحة والاعتدال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكرامة الإنسان والحق في الاختلاف والحق في المغايرة ...

ولعل لهذه الثوابت الدور الذي يؤسس للتفكير في التحديات الموضوعية أمام المنظمات الإسلامية تجاه المنظمات الدولية بوصفها قضية راجعة إلى النسيج المنبثق عن تلك الثوابت.

واخترنا المراحل التالية لمعالجة الموضوع :

- البديهي والإشكالي : وهو تقديم لروح العصر في ضوء الفرق بين البنية القديمة والبنية الجديدة والدعوة إلى الإفادة من هذا الفرق. وهو من جهة أخرى جملة من المواقف الداعية إلى قراءة جديدة (بالمعنى الأصيل) لظواهر إسلامية يجدر تخليصها من منهج التقليد (وهو كما عرفه الإمام الشوكاني الأخذ عن الرجال دون حجة أو دليل من القرآن والسنة) حتى تؤدي وظيفة رائدة في هذا العصر والحاجة إلى تجديد الرموز ضرورية وقد حرصنا على أن نضرب مثالا على ذلك فائدة رمزية من الإسراء والمعراج إشارة إلى ما في القرآن الكريم من «عجائب» تنتظر أن تنتقل من صفة الدهشة إلى الحقيقة العقلية الدافعة إلى العمل الصالح.

- التحديات من خلال المنظمات الدولية: وهو نظر في التحديات التي تواجه المنظمات الإسلامية من الداخل أي من حيث تنظيمها أو من حيث الوظيفة التي تضطلع بها وينضاف إليه وقوف متأن عند خصائص النشاط لدى المنظمات الدولية إلحاحا على الوظائف المتنوعة ونظر في التحديات من الخارج باعتبار الأوضاع الجديدة والمنطق الداخلي للمنظمات الدولية.

- كسب المواجهة والفوز بالتحديات : وفي هذا العنصر مقترحات عملية

لتحقيق الغاية تجمع بينها عقلية التخطيط والاستشراف وفيها :

- استراتيجية المجتمع المدني : وقوفا عند أهداف هذا المجتمع وإحالة إلى الدور الذي يمكن أن تضطلع به المنظمات الإسلامية عند ما تتعامل معه.
- استراتيجية إنتاج المعنى إذ للكلمة وللخطاب دور كبير في كسب التحديات وهي استراتيجية تنطلق من مقاربات ثلاث. مقارنة بيولوجية توازي بين علم الهندسة الوراثية وبناء الفكرة. ومقاربة التكنولوجية المتطورة ودورها في تأسيس الأفكار ومقاربة التسويق بوصفه منهجا لنشر الأفكار.
- استراتيجية الحوار وهي القائمة على أساليب الحجاج بالمعنى الجديد للمفهوم.

البديهي والمشكل

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣١﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾ ﴾

[الرحمن : ٢٦ ، ٢٧]

١- البنية القديمة والبنية الجديدة

(أ) لكل فترة زمانية خصوصيات تميزها عن غيرها وقد اتفق الدارسون على أن الإنسان عرف فترتين كبيرتين . الفترة الأولى هي القديمة والفترة الثانية هي الحديثة وهما فترتان عامتان تمسان في الخطوط الكبرى كل البشر على البسيطة وإن بنسب متفاوتة.

وأبرز معالم الفترة الأولى :

- غلبة ظاهرة الاستبداد والهيمنة في المستوى السياسي
- غلبة ظاهرة التفاوت بين الطبقات الاجتماعية (الخاصة / العامة)
- تكريس مبدأ التراتب في النظر إلى الكون وإلى المعرفة (عالم ما فوق فلك القمر (وهو الجوهر الصعاد) وعالم ما تحت فلك القمر (وهو الكون والفساد) .

- غلبة التوتر في العلاقات بين المجتمعات والأمم وقد نجم عن هذا التوتر العداة والحرب ويمكن تلخيص كل ذلك في فكرة التباين.

- وقد جاءت مراحل استثنائية قلبت هذه المظاهر ولكنها لم تمثل نسقا متواصلا نذكر على سبيل المثال ما أسست له الحضارة العربية الإسلامية من علاقة بين البشر وقد جعلتها أصلا على تبليغ مبادئ الحق والقيم الأصيلة فعقدت صلة بين أمة الإجابة (وهم المسلمون) وأمة الدعوة (وهم سائر الأمم الأخرى). إلا أن هذه العلاقة سرعان ما استبدلت (لأسباب يعسر الوقوف عندها) بمصطلحات دالة على تغيير في الأفكار وفي الذهنيات ويمكن أن نلخص هذا التحول في التقابل بين دار الإسلام ودار الكفر (وقد اعتبرت دار الحرب أيضا). وإن للحضارة الإسلامية في أسسها ومبادئها ومقاصدها الطاقة على أن تعيد النسق الأصيل وأن تهب العالم الجديد رؤى عميقة تؤدي إلى علاقات بين البشر وبين الدول سليمة خالية من الظلم.

- أضحت العلاقة المصلحية المادية (عبر التجارة خاصة) أسيرة العلاقة المذهبية والعقدية (وقد خرجت العلاقة بين البشر من التسامح والاعتدال كما عرفت في بداياتها إلى التشدد والتعصب نتيجة تسرب الجهل والظلم). يمكن أن نوجز الخصائص التي عرفت هذه الفترة بانسداد سبل التعامل والتعارف والتحاور فكان إرهاف الحد (حسب عبارة ابن خلدون) وهو كناية عن استعمال العنف السائد الغالب.

وغلبت على الآلة في ربط العلاقة المعرفية والسياسية والثقافية السجال والمجادلة والمناظرات تبعا لمنطق التباين والتعصب والانفراد بالمجد والانغلاق.

وأبرز معالم الفترة الحديثة :

- المكتشفات العلمية والتكنولوجية التي قوضت فكرة التراتب في المعرفة وأسست لأسباب الرفاه والنعيم للإنسان وهي المنعطف الذي بشر بعلاقات جديدة .

- طبيعة هذه العلاقة الجديدة لم تخف رواسب التباين القديمة إلا أن المصلحة المادية (مسألة السوق وما يحفّ بها من الملابس) اقتضت اللجوء إلى التعامل المختلف وفيه مراحل :

* مرحلة الاستعمار (لفرض السوق)

* مرحلة ما بعد الاستعمار

* مرحلة النظام العالمي الجديد

- لا يمكن أن ننزّه العلاقات الجديدة عن شوائب الهيمنة إلا أن ظاهرة جديدة بدأت تعطي ثمارها نريد أن نركز عليها (لم نذكر كل مظاهر الفترة الحديثة لأنه يتسنى أن نلخصها في فكرة هي ضرورة الإقبال على المشاركة)، لهذه الظاهرة صلة وطيدة بالكلام واللغة والمنطق الجديد والخطاب والمعرفة والمنهجية والاتصال والإعلام . وكل ذلك نلخصه في مفهوم الحجاج.

- للدارسين في الخصائص المميزة للفترة القديمة والحديثة موقفان يلخص الأول في القول بالقطيعة بينهما ويوجز الثاني في رصد مواطن التواصل بينهما . والرأي عندنا أن في القول بالقطيعة إجحاف ومبالغة وأن التطور الحاصل علميا وفكريا هو الذي أفضى إلى التحولات العميقة في كلّ ما يتصل بالإنسان والوجود ويمكن أن نشير إلى النقلة الجسيمة من عالم السيادة فيه كانت لما فوق الطبيعة (ولم تغب فيه الطبيعة) وإلى كون السلطة فيه للطبيعة التي خضعت لمنطق الرياضيات الحديثة (ولم يغب فيه ما فوق الطبيعة).

- فمن النشاز اجترار ما هو من الفترة القديمة (كالتعصب والانغلاق والتباين) إلى الفترة الحديثة التي تستدعي التسامح والانفتاح واحترام الحق في المغايرة . وهذا لا يعني التفريط في الخصوصيات بقدر ما يعني التزود من الطرق العلمية العقلانية في التعامل مع روح العصر وفي اكتساب

المواضع الفاعلة في العلاقات بين الشعوب والأمم ولا يمكن ألا يعتمد الحجاج في الحوار إذا شئنا أن يبنى هذا الحوار بين الثقافات وأهلها على مبدأ التكافؤ. فلا محيد عن إتقان هذه الآليات الجديدة لمواجهة التحديات ولتحسين المنظمات الإسلامية من الانزياح عن النسيج المنهجي الضروري لاقتحام الكونية اقتحاما سليما.^(١)

٢ رمزية الإسراء والمعراج

ليست الغاية أن نعيد ما وقف عنده المؤرخون و الإخباريون من قصص تتعلق بحادثة الإسراء والمعراج، إنما الغاية أن نجد فيهما من المعاني والدلالات والرموز ما يفتح بابا لفهم بعض حقائق الإسلام المتجلية عبر الأزمنة ولندرك سبيلا من سبل التعامل مع العصر وروحه تمهيدا لرفع التحديات وكسبها فما هو معروف بالبدئية قد يتحول إلى منافذ لرفع التحديات عندما يتعامل معه المرء تعاملًا إشكالياً .

وليس الرجوع إلى الحادثة اعتباطيا إنه متصل بالسورة التي سجلتها وأشارت إليها و جعلتها شأنًا عظيما وبها أيدت النبي صلى الله عليه وسلم تأييدا مؤزرا وهي سورة الإسراء^(٢) . والرجوع موثوق الصلة بأية كريمة نزلت في هذه السورة المكية^(٣) ومقتضاها يجعلها بابا شارعا لتجديد الفهم والوعي ، الفهم العقلي والوعي النفسي وهما متلازمان بحكم ما حققه النبي صلى الله عليه وسلم في رسالته السامية إذ بها حرر العقول من الخرافات والأساطير لينتقل العقل الإنساني انطلاقا من «العقل العربي» إلى التفكير الموضوعي (وهو مناط الفهم في هذا السياق). وحرر القلوب من الهوى و نزواته وأحل محلها التقوى والورع فأضاف إلى استقامة التفكير استقامة

(١) انظر Alexandre Koyré du Monde clos à lunivers infini , paris 1977 . maspero

(٢) وتسمى عند المفسرين سورة " بنو إسرائيل " و"سبحان" والعلاقة بين الإسراء والاسمين الآخرين معبرة في مستوى الرمزية.

(٣) الإفادة من أسباب النزول مكانا وزمانا وحالا يعطي لهذه السورة في مستوى الرموز أبعادا عظيما توجب إلى الدراسات المعمقة وقد يخرجها عما تراكم عليها بفعل المخيال من الغريب والعجيب.

الوعي سواء منه الباطني أو الجماعي^(١) كما حرر السلوك من العوج ووجهه نحو العمل الصالح^(٢) وجعل ذروة سنامه الاستقامة العملية^(٣). هذه الآية من سورة الإسراء منارة قرآنية تستدعي الإدراك العميق وتحث على البحث والدرس واستخراج الدلالات البعيدة. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]. وقد فسرها الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في «التحرير والتنوير» «باعتبارها استئنافا ابتدائيا» عاد به الكلام إلى الغرض الأهم من هذه السورة وهو تأييد النبي - صلى الله عليه وسلم - بالآيات والمعجزات . وإيتاؤه الآيات التي أعظمها آية القرآن... أعقب ذلك بذكر ما أنزل على بني إسرائيل من الكتب للهدى والتحذير و ما نالهم من جرأء مخالفتهم ما أمرهم الله به و من علوهم عن سنن أسلافهم من عهد نوح . وفي ذلك فائدة التحذير من وقوع المسلمين فيما وقع فيه بنو إسرائيل^(٤) .

وكأن الآية ومقتضاها يتنزلان في هذا الظرف العصيب الذي يمر به المسلمون لأنها ابتدأت بتأكيد يحمل وجهين لا تناظر بينها وإن بدا التناقض بين معنييهما لا غبار عليه فهما ينصهران في ما يصطلح عليه بالمفارقة. فهو تأكيد لدفع الإنكار وقد استفحل من المشركين و من أهل الكتاب الجاحدين . وهو تأييد للمسلمين وتأكيد الدعوة إلى الاهتمام من المؤمنين بصفة خاصة حتى تكون همتهم متعلقة بالمعنى النواة في الآية وهو «يدعو للتي هي أقوم».

نقل الشيخ ابن عاشور في تفسيره خلاصة ما دأب على تقريره أئمة التفسير قال: والمعنى أنه يهدي للتي هي أقوم من هدى كتاب بني إسرائيل الذي في قوله «وجعلناه هدى لبني إسرائيل» ففيه إيحاء إلى ضمان سلامة

(١) لعبارة القلب والفؤاد مكانة في المعجم القرآني مهمة لعلها الحافز إلى القراءات المتجددة ليكون القلب آلة الوعي الصحيحة عبر الأزمنة . والاستعارة القرآنية في هذا الشأن عظيمة في قوله تعالى : أم على قلوب أقفالها : محمد / ٢٤

(٢) سورة العصر خلاصة لهذا المبدأ الجليل

(٣) إشارة إلى الحديث الشريف "قل آمنت بالله ثم استقم"

(٤) محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، طبعة الدار التونسية للنشر ، ج ٥ ، ص ٣٩ تونس ١٩٧٣

أمة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوم لأن القرآن جاء بأسلوب من الإرشاد قويم ذي أفنان لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقل الحائر ، ولا يغادر مسلكا إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها تحريضا أو تحذيرا بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه اجتناء ثمار أفنانه وبتلك الأساليب التي لم تبلغها الكتب السابقة كانت الطريقة التي يهدي إلى سلوكها أقوم من الطرائق الأخرى وإن كانت الغاية المقصود الوصول إليها واحدة»^(١) لقد ركّز الشيخ على محورين، الأول مقارنة بين المؤمنين المسلمين وبني إسرائيل والثاني الأسلوب القرآني المعجز في الدعوة إلى «وسائل الوصول إلى الغاية من الحق والصدق». وهذا التفسير كما غيره^(٢) يعين على استخراج الدلالات والرموز لأن موضوع المفاضلة لم ينحصر في الفرق بين الهدى عند المسلمين وعند بني إسرائيل بل تخطاه إلى المعاني الحافة به وهي الكفيلة بأن تظهر ما في القرآن من العجائب في مستوى المضامين (الرؤى والأفكار والمواقف والمعاني...) وفي مستوى الأساليب (البلاغية والحجاجية) . فنحن بحاجة اليوم إلى فهم عبارة «الأقوم» على الأصل (المقارنة مع بني إسرائيل) والفرع (تعميم التفاضل بين القرآن وهو الأقوم وغيره من الفلسفات والتيارات الفكرية). والفائدة من هذا الفهم مزدوجة .

الجانب الأول فيها وعد وإقرار بأن القرآن هو الضامن بأرقى المعاني وأجل الطرق وفي ذلك دعوة إلى العلم والعمل وإلحاح على الاستزادة من طلب المعارف لأنها من الطرق المؤدية إلى الكشف عن عجائب القرآن الكريم لا بناء على الإشارات العلمية قياسا إلى العلوم الصحيحة فحسب بل إلى المضامين والتعاليم في كل المجالات أيضا . وهو ما يضمن للإنسان المؤمن المتشبع بالآيات القرآنية الكريمة تشبعا عمليا لا نظريا أو ظاهريا ، الارتقاء في المعارف مهما كان نوعها ما دامت داخلة في حيز «القويم» فربط الآية

(١) نفسه ص ٤١

(٢) كل التفسيرات تحمل هذه الدلالات ولعل أبرزها تفسير الرازي الموسوم بمفاتيح الغيب .

الكريمة من سورة الإسراء بآيات طلب العلم والنظر والتدبر يهدي السبيل إلى شمولية المعنى وهو العلامة على أنه كلما اتسعت المعارف والعلوم في الزمان تأكد وثوب المسلمين المؤمنين إلى روح العصر حتى ينهلوا منها بل حتى تكون مكانتهم فيها هي الأفضل . أليس في الآية الكريمة معيار من معايير النظر في حال المسلمين وفي علاقتهم بالكتاب العزيز ؟ فعلى قدر تفوقهم في علوم العصر ومعارفه تكون نسبتهم إلى فهم القرآن الفهم العميق .

والجانب الثاني منهج وترويض لأن صيغة التفضيل وان هي تعلق بمعاني القرآن الكريم إلى ما لا نظير له فإنها لا تعدم وجود الفضل في غيره . ولعل في هذا المعنى من الدعوة إلى النسبية ما يكشف للمؤمنين عن ضرورة التواصل مع غيرهم باعتبار أن جوانب من الحقيقة منشورة بين كل البشر على أساس أن الأكمل الأسمى قرآني وان في غيره نصيبا - وان هو منقوص بالقياس إلى القرآن الكريم - يمثل المنطلق للتعامل والحوار . هو المنهج الذي نرى أنه دافع إلى الحوار الفعلي وإلى التفكير في السبل التي تؤدي إلى مكانة للمسلمين مختلفة عن السائد اليوم . وكل مؤمن حقيقي يدرك أن الصورة السائدة كما يرسمها الكائدون قائمة على التجني . على أن السؤال المطروح باعتباره نتيجة للظرف الراهن: هو أليس فيها ما يبرر لانتشارها وذبوع مثيلاتها ؟ الجواب السريع دافع إلى رصد زاويتين أولاهما التشهير بأعداء الإسلام والتحذير من كيدهم و لا نرى الجدوى الواضحة من هذه الطريق . والثانية هي الإفادة من الوضعية السائدة ومن الأوهام المسلطة^(١) والحرص على المعالجة العميقة . إن السؤال الأخطر يستدعي المسلمين إلى أن يبصروا في مرآة حقيقتهم هل هم أسياذ في المعارف والعلوم وفي المناهج والطرق والأساليب الموضوعية ؟ لعل الجواب عن السؤال هو الإحالة إلى نصيب المسلمين من معنى الآية الكريمة في سورة الإسراء وهو المنطلق للنقد الذاتي وللانطلاق المتجدد نحو «الأقوم» . أسنا

(١) تشير إلى كتاب هنتكتون وفوكويا ما على سبيل التأكيد .

بحاجة إلى تدقيق بعض الدلالات في هذه الحادثة المنعطف في نشر الإسلام وتحوّله من مقتضيات الفترة المكية إلى مرتكزات الفترة المدنية ١٩ وان في السيرة النبوية العطرة أعظم حجة على هذه المعاني.

قد يجوز أن ننتهي إلى نتيجة نعتبرها نواة لحقل دلالي عظيم الأثر. تتركب النواة من عنصرين. العنصر الأول متشعب بمعنى «الأقوم» وإليه تثوب كل المعاني التي أشرنا إليها آنفا. والعنصر الثاني معنى قرآني كما هو عبارة وردت في حديث نبوي صحيح وهي «الاستقامة»^(١). وليس غريبا على إعجاز القرآن الكريم أن يعبر تعبيراً من جذر واحد (ق/و/م) على عنصرين متلازمين في الحقل الدلالي المؤسس للعلامة السامية على الثقافة الإسلامية.

وإذا أقررنا بهذا الحقل الدلالي - دون أن نخوض في جزئياته على أهميتها القصوى - فإننا نرنو إلى أن نربطه برمزية الإسراء والمعراج.

أليس الإسراء هو السعي في الأرض نشراً للهداية ورفعاً للواء الرحمة. إنه جامع لكل القيم الأصيلة من طلب العلم وإذاعة الخير وصيانة الكرامة البشرية. فإذا طويت الأرض للنبي صلى الله عليه وسلم بين مكة وبيت المقدس وأيده الله بإمامة الأنبياء والرسل فإن الرمزية المنبثقة عن هذه الحركة هي النجاعة والعمل والرحمة في أرض الواقع.

أليس المعراج هو الشوق إلى السماء استلهاما من حضور النبي صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهي، الرمز هو طلب المعالي وهو النفاذ من أقطار السماوات والأرض. فالمسلمون - في مستوى الرمز - هم الأجدر باختراق الفضاء قبل غيرهم. هكذا يعلمنا القرآن وهكذا يحثنا الإسلام إلى العلم والمعارف بصفة عامة .

فلعل الإسراء دعوة إلى الاستقامة فوق الأرض، ولعل المعراج دعوة إلى الاقوم صعوداً إلى منزلة الربانية^(٢).

(١) الحديث النبوي المذكور سابقاً

(٢) آل عمران/٧٩

فالإتجاه بالإسراء أفقي بمنطق الرياضيات وهو البذل والعطاء طاعة لله سبحانه وتعالى بأن تمتلئ الأرض بالخير النابع من معين المسلمين وتلك من رموز معاني الاستقامة.

والإتجاه بالمعراج عمودي وهو الهمة الحاثثة على المعالي وعلى أعلى المراتب وذلك من رمزية معاني «الأقوم».

وإن التعالق بين الإتجاهين هو الذي يجعل "الاستقامة" و«الأقوم» منبعاً من منابع الصلاح في الثقافة الإسلامية ولا اكتمال له إلا بالعمل والممارسة وتلك السبيل دون ريب إلى النصر وهو وعد من الله صريح.

حددنا في هذا العنصر طبيعة الانتقال مما يبدو بديهياً وهو الإعجاز الحاصل في الإسراء والمعراج إلى ما يجدر أن يصبح إشكالياً وهو تجاوز ذهنية الرضى بسرد الأمجاد إلى عقلية النسيج على المنوال ، منوال الصالحين من السلف المؤيدين . وعلى هذا النحو نفهم القولة الشهيرة للإمام مالك بن أنس «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» والباء " فيها سبب ووسيلة . السبب يحيل إلى المنهج الإسلامي الثابت كما أوحى به الله عز وجل في القرآن وطبقه الرسول الكريم . أما الوسيلة فهي متطورة جديرة بأن تواكب العصور بل أن تكون طلائعية استشرافية لو تعلقت همة المسلمين في العصر الراهن على وجه الخصوص ببعث مراكز البحث المختصة والمخابر الملائمة للغرض . أليست رمزية الإسراء والمعراج ومن قواعدها «الاستقامة» و«الأقوم» هي السبيل إلى العبور الآمن من البنية القديمة إلى البنية الجديدة ومن البنية الجديدة إلى أي نوع آخر طارئ.

- المنظمات الإسلامية : تحديات الداخل وتحديات الخارج -

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

[النحل : ١٢٥]

بلغ عدد من المنظمات الإسلامية درجة من النجاعة تشهد بها النتائج

التي حققتها ونذكر على سبيل المثال منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم وغيرها من المنظمات الرسمية المتصلة بالأمن والشغل والاتصال والزراعة... ونؤكد الوظيفة المتنامية لرابطة العالم الإسلامي وهي تزرع بذورا لتحقيق طموح الشعوب الإسلامية . وإن انتماء الرابطة القريب من دائرة المنظمات غير الحكومية يهبها فرصا للنشاط والتأثير ذات أبعاد عميقة.

نروم أن نطرح إشكالية في هذا المعنى وهي تتصل بالمنظمات سواء منها ما هو رسمي أو غير رسمي.

I - ١ - مواجهة التحديات من الداخل

أردنا أن يكون الكلام على المنظمات الإسلامية عاما فأغضنا الطرف عن تفاوتها في الأهمية مهما كان نوعها . وآثرنا أن نقف عند عدد من التحديات صنفناها تصنيفا .

١- ظاهرة التأهيل : معنى التأهيل دقيق وملخصه قدرة المنظمات في هيكلها و تنظيمها ومهامها على التطور استجابة للظروف المتغيرة و طاقة على تنفيذ خططها وأهدافها في هذا الإطار وللتأهيل صلة بطرق العمل وآلياته والمناهج الراجعة لها بصفة خاصة.

٢- ظاهرة النقد الذاتي : ومناطق هذا التحدي الاستعداد المتواصل لمراجعة النشاط ونقده والحرص على تجاوز العقبات وذلك في مستويين بارزين :

- مستوى المضمون

- مستوى الطريقة

وقد اخترنا أن نجوس خلال هذين المستويين في العناصر اللاحقة ضمن الرؤية التي نقتح لكسب الرهان ورفع التحديات وهما منوطان بفكرة جوهرية هي ضرورة استقطاب المنظمات الإسلامية للكفاءات حتى تكون قدراتهم العلمية والمعرفية والمنهجية المادة الخام للنشاط.

٣- ظاهرة الانتشار السؤالي الممض المتصل بالتحديات داخل المنظمات الإسلامية متصل بمدى انتشارها في البلاد الإسلامية وهو يثير أسئلة أخرى فرعية تتعلق - على سبيل مثال - بدرجة التفاعل بين الحكومات الإسلامية والمنظمات وبدرجة التعامل بين الشعوب الإسلامية والمنظمات وكما تتعلق بقيمة النجاعة في النشاط. والغاية من السؤال تتحدد باقتناع هو انه لا مجال لدور فاعل للمنظمات الإسلامية على الصعيد الكوني ما لم تؤد الوظيفة المنوطة بها في الداخل الإسلامي..

٤- ظاهرة التطوع

لا نقنع في هذا العنصر بالكلام على التطوع في ذاته بل على اختيار المتطوعين أساسا. إذ لا يكفي أن تحظى المنظمات بالهيكل والميزانية والى غير ذلك من الأسباب التي تجعل منها مؤسسات، بل الأجدر بالنظر والمراجعة هو الفوز بالمتطوعين داخل المنظمات ولا شك في أن هذا العمل يحتاج إلى ثقافة جمعياتية راقية.

أليست هذه الظاهرة هي العلامة على الثقافة الإسلامية الأصيلة لأن التطوع من جوهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل عملي نافذ وهي الخصيصة الملائمة للعمل الجمعياتي داخل المنظمات الإسلامية . ولا يقتصر التطوع على الجانب المالي من أهل التقوى بل يحتاج إلى الجهد والبذل والتفرغ أيضا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

II - ٢- مواجهة التحديات من الخارج

التحدي الراهن الذي تواجهه المنظمات الإسلامية هو كيف تقوى على أن تتخرط في النشاط الكوني ضمن المساحات التي تشتغل فيها المنظمات الدولية. ولئن كان من الضروري ان تبني الأجوبة على قواعد علمية تخضع

لعمليات متلاحقة وهي الوصف والرصد والإحصاء والاختبار والدرس للوصول إلى مؤشرات على نتائج معقولة فإن طرح الإشكالية في حد ذاته في هذا السياق يعتبر بداية موفقة ليقف أهل الثقافة الإسلامية المتصدين للعمل الجمعيات والمنظمات أمام مرآة النفس . أليس في طرح السؤال الجرأة على اقتحام المصاعب وتجاوزها وفتح الآفاق الكفيلة بأن تزرع الثقة في عالم كأنّ إصرار بعض القوى على اتهام المسلمين فيه دون تمييز إن لم نقل بسبق الإضمار كما يقول أهل القانون يصبح دافعا إلى إيقاظ همم الأبصار إلى البحث عن أقوم المسالك والسعي إلى كسب الرهانات ورفع التحديات . وقد اخترنا أن نقف عند مواجهة التحديات بالتعرض إلى آليات المنظمات العالمية والأهداف التي ترسمها .

2-11 (أ) المنظمات الدولية : استكشاف الآليات والأغراض

2-11-أ-1 التعريف بأبرز المنظمات الدولية

يزيد عدد المنظمات الدولية على المئات ويتجاوز عدد أبرز هذه المنظمات المائة وقد اخترنا أن نتعامل مع عدد منها على سبيل التمثيل والغاية هي فهم المنطق الداخلي الذي يحكم هذه المنظمات واقتراح المنهج المناسب للتعامل معها برؤية إسلامية ناضجة .

1- المنظمة العالمية للصحة

2- منظمة اليونسكو

3- المنظمات الغير حكومية

4- المنظمة العالمية للشغل

المنظمة العالمية للصحة (OMS) هي منظمة تابعة للأمم المتحدة مختصة في الصحة بعثت يوم ٧ أبريل ١٩٤٨ وينص قانونها على أن ترقى بكل الشعوب إلى مستوى صحي رفيع على قدر الإمكان . وتعرف الصحة في ميثاق المنظمة بكونها حالا من الرفاه الجسدي والذهني والاجتماعي كاملا

ولا تعني البتة الاكتفاء بغياب الأمراض أو العاهات.

وإن الصحة راجعة للبدن وللنفس في المقاصد الإسلامية وفي الكليات التابعة لها^(١) فهل يمكن أن تتوفر في إطار أمثل من الثقافة الإسلامية توفراً لا يؤخذ من منطلق التجريب والاختبار والتاريخ ولا بوازع التمجيد والمفاخرة بل من الناحية الإجرائية المحسوسة ؟

منظمة اليونسكو UNESCO منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.

بعثت المنظمة بعد أن وضع مؤتمر لندن في ٤ نوفمبر ١٩٤٦ الميثاق التأسيسي لها. «والهدف الرئيسي لهذه المنظمة هو المساهمة في صون السلم والأمن بالعمل عن طريق التربية والعلم والثقافة على توثيق عرى التعاون بين الأمم لضمان الاحترام الشامل للعدالة والقانون وحقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس كافة دون تمييز بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين». ولليونسكو وظائف خمس رئيسية هي الدراسات المستقبلية وتقديم المعارف ونقلها وتقاسمها والنشاط التقني والخبرة وتبادل المعلومات المتخصصة. وهي وظائف موجودة بشكل مباشر أو غير مباشر في الثقافة الإسلامية أيضاً ويجدر العمل على إظهارها بالذكاء اللازم.

المنظمات غير الحكومية (NGO)

هي نسيج من المنظمات ذات الفاعلية القوية وغايتها نشر قيم التعاون والتآخي ورفض مظاهر الفرقة والتمييز وهي ذات فروع كثيرة تمس الحريات والأقليات والأمهات وسائر أوجه النشاط الاجتماعي الثقافي والاقتصادي فضلاً عن السياسي. وهي حاملة مبدأ أساسي هو الدبلوماسية الموازية وقد يحقق ممثلوها في كثير من الأحيان ما يعجز عنه السفراء والقناصل والبعثات الدبلوماسية. فهذه المنظمات باب مفتوح أمام المنظمات الإسلامية لتحقيق غايتها ولا سبيل إلى ذلك إلا الفطنة وحسن التعامل.

(١) الرجوع إلى الإمام الشاطبي في كتاب الموافقات إمام العلم في هذا المعنى وهو منطلق للدراسات المعمقة.

المنظمة العالمية للشغل - (ILO) International Labour Organisation

تأسست منظمة العمل الدولية سنة ١٩١٩م بعد الحرب الكونية الأولى والركيزة التي استندت إليها هي أن السلام العادل والدائم لا يمكن أن يتحقق إلا إذا ارتكز على العدالة الاجتماعية. وهي العلامات المميزة للمجتمع الصناعي والضامن بتحسين ظروف العمل في كل مكان. أليست هذه الغاية هي من جوهر الإسلام أيضا ؟ أليس هذا الجوهر بحاجة إلى أن يعرف وأن يجد حظه في المنظمات الدولية.

2-11 أ- ٢ الوظائف المنوطة بالمنظمات الدولية

تجتمع هذه المنظمات تحت راية جوهرية هي مفهوم المجتمع المدني. وقد خصصنا لهذا المفهوم جانبا من البحث بوصفه الباب الضروري للتعامل الواقعي الموضوعي بين التعاليم الإسلامية والأرضية الفكرية التي توحد كل المنظمات . وقد آثرنا أن نمهد للوظائف التي تضطلع بها هذه المنظمات بمراكز اهتمام أوجزناها في نقاط .

- ١- كل هذه المنظمات أداة للكفاح ضد الإقصاء الاجتماعي بكل ألوانه وأنواعه في كل مواضعه.
- ٢- هي أداة للحد من العضلات (أو الكوارث) الاجتماعية كالفقر والبطالة وفقدان السند والافتقار إلى المناعة . . .
- ٣- هي أداة لزرع بذور السلم في العالم والتآخي بين البشر بغض النظر عن ألوانهم وجنسياتهم ومعتقداتهم.
- ٤- هي أداة لتكوين الأفراد بطريقة تؤدي إلى خدمة المجموعة والقصد هو تحقيق التغيير الفاعل في العقلية نشر لقيم الجماعة والعمل المشترك.
- ٥- هي أداة للعمل الإنساني المحض خارج دائرة النفوذ السياسي والاعتقاد الديني.

٦- هي عمل طوعي وتطوعي ينطلق من مرتكزات ثلاثة

٦- (أ) الاتفاق الكامل وهو عنصر يفرض الانسجام.

٦- (ب) تحقيق الأهداف المشتركة وهو عنصر يوحد الغايات فضلا عن تحديدها .

٦- (ج) الإغضاء عن منافذ الريح وهو عنصر أخلاقي فكري .

لهذه الوظائف التي لخصنا مجالات ثلاثة كبرى ترجع إليها وتضبط آلياتها وترسم أهدافها .

المجال الأول هو نشر قيم العدل والعدالة والإنصاف والمساواة : وهو مجال يحرص على تنزيل القيم الأصيلة في البعد العملي ويدعو إلى الممارسة الفعلية .

المجال الثاني هو الحياد وهو يؤدي إلى منطلق جوهرى يلخص في مبدأ العلمانية^(١) . وهي في هذا السياق دعوة إلى عزل الحياة الاجتماعية عن القيم والرموز الدينية .

المجال الثالث هو الثقافة . والثقافة هنا هي كل النشاط المادي والذهني الصادر عن الفرد المتأثر بالموروث عن الجماعة التي يعود إليها .

وما يجمع بين هذه المجالات هو الشمول المتصل بكل الجوانب العملية في حياة الإنسان وهي لا تخرج البتة عن الدائرة الدنيوية وكل ما سواها لا يعتبر ولا ينظر إليه إلا بوصفه من الحرية الفردية الصرف .

وتتجلى وظائف هذه المنظمات من خلال هذا التقديم شأننا موازيا لكل جهة رسمية من حيث وجودها السياسي أو الديني أو تحت أي شكل سلطوي آخر . إن فكرة التوازي هي النواة في هذا العالم المنظمات النابض وهي المدخل - إن أحسنا الظن - إلى نشر قيم التآخي أو التقارب بين البشر وهي - إن أصابنا طائف من الشك - القناع لفرض إيديولوجيات كلها من صميم الحضارة الغربية^(٢) .

(١) انظر في كتاب بيتر برجر Peter Berger ، القرص المقدس ، عناصر نظرية سوسولوجية في الدين ص

(٢) انظر كتاب آلان توري : نقد الحداثة ترجمة أنور معن ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧

الوظيفة الأولى : التآطير والترفيه

التآطير هو التكوين المتواصل القائم على معاني الإنسانية بل على مرتكزات الإنسية^(١) . فكل العمل المنبثق عن المنظمات الدولية يرجع إلى ميثاق فلسفي مادي في جوهره لا يأبه إلى الروحانيات إلا من زاوية الاختيار الفردي المنحسر في التصرف الخاص . فالتآطير توجيه و تكوين ونشر لثقافة مرجعيتها فلسفة الأنوار^(٢) وما انضاف إليها من تحولات مذهلة في الفكر الإنساني كاد يضيق من فعل الفلسفات ويؤصل دور الانتماءات الاقتصادية والتكنولوجية ويجعل منها النبراس في تآطير المجتمعات البشرية وإرشادها إلى نمط من الحياة لخصه بعض الدارسين في عالم ماك^(٣) . وليس من الغريب أن تصوغ هذه الرؤية الجديدة لنمط الحياة علاقة ضدية بينها وبين الأصولية الإسلامية وقد تعمد إلى الإبهام في استعمال عبارة أصولية بين الإحالة إلى علم جليل أصيل من العلوم الشرعية وهو علم أصول الفقه والاتجاهات الدينية ذات النزعات المتعصبة المتزمتة ونرى أن الغموض مقصود عن وعي خطر . فالأعمال الخيرية والمبادرات إلى الغوث والإعانة والمناصرة داخلة تحت هذه الرؤية إن من قريب أو من بعيد ولا شك في أن طبقات هذه المنظمات هي التي تحدد نوعية التآطير ولكنها لا تخرج عن المجالات الكبرى التالية .

المجال الاقتصادي وهو مناط عمل المنظمات الدولية ذات الاختصاص ونذكر على سبيل المثال الدقيق:

- البنك العالمي لإعادة البناء والتنمية (BIRD)
- المكتب العالمي للتشغيل (BIT)

(١) الإنسية او الانسوية من المعاني المعبرة عن الفصل بين الدين والحياة الدنيوية انظر على سبيل المثال Pierre Henri Simon l homme en procès Paris 1976'

(٢) فلسفة الأنوار الفرنسية منطلق لتجديد الحداثة انظر - Paul Hazard , la crise de la conscience européenne Gallimard Paris 1961

(٣) انظر كتاب : بنجامين باربر ، عالم ماك : المواجهة بين التألقم والعولمة - ترجمة احمد محمود - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة ١٩٩٨

- المركز العالمي للتجارة (CNUCEDOMC) , (CCI)
 - اللجان الاقتصادية الراجعة إلى الأمم المتحدة (كاللجنة الإفريقية والأوروبية والآسيوية...)
 - مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية CNUCED
 - لجنة التنمية المستدامة CSD
 - المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالأمم المتحدة ECOSOC
- ولا ريب في أن أبرز منظمة في هذا السياق هي البنك العالمي وما يصدر عنه من تكوين و توجيه يربط بين الإعانة والمساندة من جهة ووضع الخطوط الضرورية للإصلاح الاقتصادي من جهة أخرى.
- المجال الثقافي وهو عمل المنظمات ذات الاختصاص و نذكر منها مثالا ساطعا هو منظمة اليونسكو وما يتفرع عنها من فروع تمس الثقافة والتربية والعلوم كالمكتب الدولي للتربية (BIE) ومعهد الأمم المتحدة للتكوين والبحث...
المجال الاجتماعي وفيه المنظمات المهتمة بالمرأة والطفولة والصحة ونذكر على سبيل المثال :

- معهد البحث والتكوين للأمم المتحدة من أجل تطوير المرأة INSTRAW
 - صندوق الأمم المتحدة للتنمية من أجل المرأة UNIFEM
 - صندوق الأمم المتحدة من أجل الطفولة UNICEF
- المجال التكنولوجي كمنظمة الأمم المتحدة من أجل التنمية الصناعية والاتحاد الدولي للمواصلات UIT
- والمجال الإنساني المحض وهو يجند الطاقات لغايات تبدو ظاهريا ذات مقاصد إنسانية كالمنظمة المهتمة باللاجئين HCR
- وبرنامج الأمم المتحدة للمراقبة الدولية للمخدرات PNUCID
- والكتابة العشرية الدولية للوقاية من الكوارث الطبيعية ومنظمة المتطوعون للأمم المتحدة .UNU

أما الترفيه فهو مفهوم معقد لأن له مساحتين . الأولى ظاهرة وهي مقترنة بالعمل . فكل عمل ينفق فيه المرء زمنا يستدعي وقت راحة يباح فيه له أن يتسلى و أن يتمتع وهي ظاهرة طارئة لم يتسن للإنسان من قبل أن يحظى بها لأن الترفيه منبثق عن البنية الاجتماعية المتطورة أي إنه ملازم للحدثة وما بعد الحدثة . والظاهرة الثانية مشوبة بالكتمان تتسمّر فيها شبهاً وإشارات وإن هي تجلت تصطدم بعراقيل محفوفة برقابة مانعة - بشكل واع أو غير واع وهي تعود إلى قيم العمل والأخلاق أو إلى الدين الموروث . ويحجب مفهوم الترفيه من الظواهر السياسية والاجتماعية والنفسية على وجه الخصوص ما يرسم صورة عن الحياة ولوحة عن الوجود تفترض إن كشف الحجاب شكلا قاتما يحوج إلى درء المفسد عنه والسبيل إلى ذلك توفير الأسباب الضرورية للتمتع بالأوقات الممنوحة للإنسان خارج أوقات العمل . ويعتبر الترفيه مؤشرا من مؤشرات تطور المجتمعات . فكما كان العمل (الشغل / التشغيل) أمانة الانتقال من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الصناعي ، فإن الترفيه هو العلامة على الانتقال من المجتمع الصناعي إلى المجتمع ما بعد صناعي وهو الذي يطلق عليه اليوم مجتمع المعلومات والاتصال داخل المنظومة الملائمة له .

وتصنف المجتمعات في هذا السياق إلى ثلاثة أصناف :

الصنف الأول: هو مجتمع ما قبل الصناعي وعلامته تتفرغ فيه الأغلبية النسبية أو المطلقة للميدان الفلاحي وليس للعاملين في هذا القطاع من دخل إلا ما هو زهيد أو بخس .

والصنف الثاني: هو المجتمع الصناعي والأغلبية فيه النسبية أو المطلقة تشتغل في القطاع الصناعي والدخل لهؤلاء محترم في الجملة .

والصنف الثالث: هو المجتمع ما بعد الصناعي الموسوم في الاصطلاحات الحديثة بمجتمع المعرفة أو الإعلامية أو المعلوماتية أو الاتصال والدخل فيه لأصحابه مرتفع ونوع الحياة لديهم راق .

والكلام على الترفيه في الصنف الثالث أكيد وهو في الصنف الثاني
مطلب وهو في الصنف الأول نسبي إن لم نقل إنه معدوم .

ولا يقترن الترفيه بالبنية الاجتماعية وحدها، إنَّ له صلة وثقى بفلسفة
أعلنت أحقية «الشخص» في ضوء ما يعبر عنه بالحدثة وبصفة أوضح ما
يطلق عليه أعوان الحدثة «The agents of modernity» وملخصها يربط
الديمقراطية - بوصفها نمطا في السياسة والحكم ، بالعلمانية - بوصفها
نمطا في التفكير والاعتقاد - وبالإنسوية بوصفها أنموذجا لحياة الإنسان
وخطا لوجوده . والقلب النابض لهذه الأعوان هو الشخص تبعا لرؤية
ليبرالية غربية عرفت مراحل يجدر أن نذكر بها وهي :

(أ) المرحلة المنعطف في آخر العصور الوسطى الأوروبية وتتمثل في اختيار
الفرد/ الشخص الإله الذي يعبد.

(ب) المرحلة الأولى من التحديث : عرفت الدعوة إلى التخلص من اعتبارية
النظم السياسية وهو ما مهد لظهور ما يعبر عنه بـ corpus Habeas
وهي مؤسسة أنجلو سكسونية ضمنت انطلاقا من سنة ١٦٧٩ م
الحرية الفردية وأقرت مبدأ الحماية من الايقافات التحفظية
الاعتباطية.

(ج) الحصول على الحق في حرية العمل (القرن ١٩ م)

(د) ظهرت في الفترة الأخيرة (نهاية القرن ٢٠) نزعة إلى التساؤل على
شرعية سلطة العائلة على الأفراد باسم التوق إلى الترفيه . ولم تبق
العائلة في هذا الإطار الخلية الأساسية للحياة الاجتماعية .

فالترفيه، إجمالا ، ظاهرة جديدة حمالة قيم طرحت أسئلة محرجة
على العلاقة بين الحقوق والواجبات المتبادلة بين المجتمع والأفراد وهو
يسعى إلى التغيير في مستويات العمل والأسرة والسياسة والدين دون
التفصي الكلي عن مؤثراتها في المجتمع والأفراد .

والترفيه علامة على نمط جديد من النشاط الاجتماعي (توفير الحرية

في مجال العمل والتخلص من الطقوس المكبلة) وهو نتيجة لظاهرة العمل المهني وقد انفصل عن بقية أوجه النشاط واحتكم لحدود اعتباطية - غير طبيعية - فأصبح وقت الفراغ متميزا عن أوقات العمل.

وللترفيه ، في الخلاصة، حظ في المجتمعات المعاصرة على قدر حظ هذه المجتمعات من الحريات وعلى قدر تخلصها من الإكراهات والضغوط.

الوظيفة الثانية: التضحية والانتظام:

من نتائج عقلية التطوع البارزة مبدأ التضحية وهو الإقدام على الأعمال الإنسانية دون انتظار مقابل مادي أو معنوي. إن التضحية هي الاضطلاع بالمسؤولية إزاء الإنسانية باسم الواجب وباعتبار الحق الضروري للإنسان على الإنسان. فالدافع إلى التضحية أخلاقي قيمى مبدئي وهي لا تبقى في ثقافة المنظمات أي سبب سياسي أو ديني.

والانتظام هو طول النفس والتخطيط ووضع الاستراتيجيات الملائمة لتحقيق الأهداف. فهو الرؤية الملازمة للتضحية والتصورات الضامنة بالعمل المستدام في إطار إنساني صرف.

وما يربط بين التضحية والانتظام هو التمويل الصادر عن ميزانيات راجعة إلى المنظمات الأم وإلى مشاركات الدول ومساهمات البنوك والمؤسسات الاقتصادية فضلا عن الشركات الكبرى المتحكمة في الاقتصاد العالمي ومن غاياتها الكبرى نشر قيم تناسب المقاصد التي تضعها.

فإذا كان جهد المنخرطين في المنظمات يستدعي التضحية فإن مظاهر هذه التضحية وتجالياتها تفصل بين العمل الهيكلي والعمل التطوعي والتضحية لا تعني في البعد الأول منع العاملين في المنظمات عن رواتب تكفيهم ماديا بل قد تزيد عن الحاجات العادية بقدر ما تعني البذل السخي والتفرغ الكلي لقضايا البؤس والفقر والمرض والجهل والاعتساف والاستلاب في العالم، وهي تعني في بعد ثان التطوع المنظم حسب الاختصاصات

والضروريات والملابسات. فثمة تضحية بالوقت وثمة تضحية بالجهد إضافة إلى الوقت وهي تحتاج في كلتا الحالتين إلى التصميم وحسن التنظيم.

الوظيفة الثالثة: التطوع وخدمة المجموعة:

تقتضي هذه الوظيفة تجنب التمييز والابتعاد عن الإقصاء وتحاشي التهميش وهذا يعني اكتساب عقلية في العمل الجمعياتي وفي النشاط داخل المنظمات قادرة على التجند لكل القضايا المطروحة على الساحة الإنسانية. وتجنب التمييز يستوجب مراعاة المشكلات في أماكنها بغض النظر عن عاملي التاريخ والجغرافيا فضلا عن المعطى العرقي أو الجنسي. والابتعاد عن الإقصاء يفترض اعتبار وظيفة الاقليات على أي شكل كان ومن أي نوع كان.

وتحاشي التهميش يعني وضع المشاكل المطروحة على الساحة العالمية على قدم المساواة والانكباب على حلها مهما استعصت أو أشكلت على أصحابها.

تؤدي هذه الوظائف الكبرى إلى نتائج ذات أهمية كبرى يمكن أن نسرد عددا منها.

- أول نتيجة جوهرية هي أن النشاط الناجم عن المنظمات الدولية وخاصة منه ما يعود إلى المنظمات غير الحكومية هو نشاط داخل في ما يسمى الدبلوماسية الموازية. وقد تتفوق دبلوماسية هذه الجمعيات على دبلوماسية الحكومات. فهي بلا جدال مدخل ضروري لمن يروم أن يروض القوى الفاعلة على النطاق العالمي. وهي دونما شك مناط للتحديات الكبرى الموضوعة أمام المسلمين اليوم. فما يتحقق عبر هذه المنظمات أدق وأسرع وأنقذ من كل الجهود الرسمية التقليدية. وعلى هذا النحو فهذا النشاط مكمل لعمل السلطة وليس عبءا عليها.

- النتيجة الثانية هي اعتبار الشراكة بين الدولة والمجتمع المدني على

شرط أن يتأسس المجتمع المدني على الحياد. وقد رأينا من الضروري أن نقف وقفة عاجلة عند ظاهرة المجتمع المدني لأنها من التحديات المطروحة على الثقافة الإسلامية بشكل عات نظرا إلى أن المجتمع المدني يقابل في مهده الغربي المجتمع الديني. ومعنى الشراكة جدلي بين الدولة والمجتمع.

- النتيجة الثالثة هي عقلية الامتياز وهي كالقيمة المضافة^(١) في الاصطلاح الاقتصادي وهي تمس الأداء والسلوك عبر نشر القيم المستجدة المتصلة بالإنسان ولعل أهمها :

- السلم في العالم

- التآخي بين البشر

- خدمة الإنسان باعتباره القيمة النبيلة الأولى في الحياة.

- احترام حقوق الإنسان

وإن لهذه الوظائف مساحتين، الأولى نظرية تطرب الوجدان والثانية عملية تخرج العقول ذلك أن البون بائن بين النظري والعملي.

والسبب الذي يوضح هذا التباين في جزء كبير منه المنعطف الحاصل سنة ٢٠٠٠ في الولايات المتحدة الأمريكية ومرده إلى المرجعية الدينية التي أعلنها رئيس هذا البلد وأصبحت آلية سياسية خارجية مثلت السؤال الأعظم بالنسبة إلى المنظمات الدولية وفيه طرفان. الطرف الأول هو هل إن اعتلاء الرئيس الحالي لهذا البلد سدة الحكم بالثقافة الدينية التي يحمل^(٢) هو الكاشف عن سر الخروج من القيم اللادينية إلى القيم الدينية ؟ والطرف الثاني هو هل إن هذه السياسة ذات المرجعية المسيحية المتشددة هي التي فضحت الدور الذي تضطلع به المنظمات الدولية وفيه من سياسة المكيالين

(١) التناظر بين المنظومة الاقتصادية و المنظومة الفكرية الفلسفية والعمل الجمعياتي نابع عن تصورات يصوغها البنك العالمي Francis Robert Putnam روبرت بوتنام، إنجاح الديمقراطية، الثقة، الفضائل وهو يتعرض إلى رأس المال الاجتماعي ص ١٥٤- ١٥٧

(٢) انظر كتاب Eric Laurent , Le monde secret de Bush la religion , les affaires , les réseaux occultes. , Eric Laurent plon-France 2003

ما يحض لمراجعة الثوابت والمتغيرات في نشاطها^(١) وفي كل الأحوال فإنه لا مجال في الوقت الراهن للتعامل مع المنظمات الدولية دون الإهتمام بالمتغيرات الفكرية والمادية التي تتحكم فيها. وهذا رهان آخر وهو من التحديات المطروحة على المسلمين بشكل حاد.

أليست هذه التحولات هي منطلق مهم يستدعي تفكيراً قوياً ومنهجاً نجيعاً يعطي للمسلمين فرصة لاختراق المنظمات الدولية بقواعد فكرية من صميم التعاليم الإسلامية ومن رحيق التعامل الناضج مع روح العصر؟ وقد رأينا أن نقترح العناصر الثلاثة التالية مادة لمواجهة تحديات المنظمات الدولية والتعريف بخصائص الثقافة الإسلامية و اعتبار ما فيها من قيم أصيلة لا نظير لها إذ هي تعود إلى الثائية التي تعرضنا إليها وهي «الاستقامة» و«الأقوم».

II- مقترح لمواجهة التحديات

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ ﴾ [آل عمران : ١١٠]

II-3- المجتمع المدني

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات : ١٣]

ليس لمفهوم المجتمع المدني من مرجعية في الكون القديم حضارياً أو ثقافياً ولئن وجدت بعض الشذرات في الفلسفات أو المواقف الفكرية عند أهل الحضارات والثقافات فإنها لم ترتق البتة إلى المنظومة المتكاملة. فالمفهوم - جاهزا - متوِّد عن الحداثة. (نهاية القرن ١٥ وبداية القرن ١٦ بأوروبا) لقد عرف مفهوم المجتمع المدني أطواراً ثلاثة كبرى في أوروبا :
الطور الأول هو الذي جعل المجتمع المدني بناء يقابل مجتمعا مغرقا في القيم الأخلاقية الروحية المفروضة على الدولة والمجتمع المقيدة لحرية الإنسان باسم قيم ما وراثية شديدة. فكان المجتمع المدني كسرا لطوق الذهنية الدينية المنغلقة القائمة على سحق ما في البشر من وجود نابض.

(١) نفسه ص ٤٤-٤٥ .

الطور الثاني هو الذي جعل المجتمع المدني داخلا في نسيج اقتصادي واجتماعي بهما يتحدد ويتكون. فهو طور رأى أن البنية الاقتصادية هي التي تحرر الإنسان وتعيده إلى بداياته ولم يستثن هذا الطور فكرة الصراع لتحقيق الأهداف.

والطور الثالث هو الذي قابل بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي فهو بناء راسخ في البعد الفكري الثقافي مما يؤثر في الرؤية ويسعى إلى الفضاء الاجتماعي بعيدا عن النظريات والمجردات. فالثقافة سلوك مادي وذهني في آن وعليها تقام - بما فيها من شمولية تضم السياسة والاقتصاد والاجتماع - ... أسس المجتمع المدني.

ولعل أوجز تعريف للمجتمع المدني هو إنه جملة المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة في استقلال نسبي عن سلطة الدولة لتحقيق الأغراض المرسومة ويمكن حصرها في العناصر التالية:

السياسة: وقوامها على الدعوة إلى صنع القرار على المستوى الوطني وأبرز مظهر له في كل بلد صياغة الميثاق الوطني والمجلة الانتخابية في المسألة التشريعية والبلدية بصفة خاصة والحرص على الإصغاء إلى القواعد الشعبية الواسعة... وإجمال هذه الظاهرة بوصفها عنصرا جوهريا في المجتمع المدني الاستناد إلى الاستشارة على كل الأصعدة حتى توجد الظروف الملائمة للمساهمة بالرأي وبالمشاريع مساهمة فعالة تجعل التعددية علامة في السياسة و الثقافة من جهة أخرى .

الثقافة: ومعناها شامل للنشاط المادي والذهني . وبما أنها سند للتحويلات في البنى الاجتماعية فهي التي ترفع لواء الوعي نشرا وتجويدا حسب الأهداف المرسومة وهي التي تسعى إلى التنمية الشاملة المستدامة وإذا أضفنا ما يحظى به المثقفون من امتيازات في المجتمعات المنظمة ندرك ما للثقافة من دور في دعم المجتمع المدني وفي صونه.

على أن الثقافة لا تقتصر على جمالية المعاش فحسب بل يمكن أن ندرج

معها ضمن الشواغل الثقافية الارتفاع بمستوى المهن وترشيد الاستهلاك والسلوك الحضاري وقد أضحى لها في البلدان المتقدمة الإطار الملائم الساعي إلى تحقيق الأهداف المدنية سعياً موضوعياً بدأ الجيل المعاصر يعي معناه وأبعاده ويجعله المادة الخام لسلوكه وللتقاليد التي يكتسبها .

الاجتماع : يلخص البعد الاجتماعي العناصر السابقة ويضيف إليها مجالات أخرى كالاقتصاد على وجه الخصوص . والغاية من العنصر الاجتماعي المساهمة التامة من جميع الفئات ضمن المنظومة الاجتماعية كلها في العمل المدني توفقاً إلى التنمية .

إذا كانت هذه الأغراض المكونات المبدئية للمجتمع المدني فإنها نتيجة لأسباب كثيرة ذات صلة بالقدرة على اتخاذ القرار وبالذواغ النزيهة وبالطاقة على وضع التشريعات وعلى صياغة الاستراتيجيات التتمويه الناجحة . وعلى هذا الأساس تصبح الأحزاب والنقابات والمنظمات والمجتمعات والاتحادات كالشرايين في الجسد تضمن له الحياة وإذا اختل جزء تداعت له البقية بالسهر مخافة التصدع تعبيراً عن التماسك والالتحام . وعلى هذا المبدأ يصبح الاختلاف مطية للتعاون والإثراء والتعدد سبيلاً إلى الحوار والاستفادة .

وتنجم عن هذه الأغراض ثقافة جديدة نبرز أهم عناصرها :

المؤسسية : يوجد فرق كبير بين توفر المؤسسات وبروز ثقافة المؤسسات وليس من معاني المجتمع المدني أن تتكاثر المؤسسات مهما تجلت مظاهرها وتكاثرت فروعها وتنوعت أجناسها . إن المؤسسات في حد ذاتها سطح قد يحجب معاملات تحيل إلى الهيمنة وإلى الاستغلال مما ينطق عن تناقضات جوهرية . إن ثقافة المؤسسات هي ما أطلقنا عليه المؤسسية وهي العقلية المدنية التي تكسب أهلها القدرة على صون المؤسسة وتعهدا بوصفها ضامناً في المجتمع المدني للتوازن في العلاقات الاجتماعية ولضبط الثوابت الضرورية للقوانين المدنية والتشريعات .

فتكون المؤسسة عنصرا في منظومة متكاملة ولا تقتصر على توفير الرزق والدخل المستجيب لمقتضيات الحياة اليومية وهي بهذا المعنى تحمل من الرموز والدلالات ما يتيح لها أن تلعب دورا فاعلا في المجتمع المدني بأن تبطل على سبيل المثال ذهنية التواكل على الدولة في التشغيل وتستبدلها بعقلية المبادرة إلى بعث المشاريع المثمرة.

المشاركة : لا تتاح المشاركة لأي طرف ولأي اجتماع دون شروط يمكن اختصارها في عناصر ثلاثة :

العنصر الأول هو قوة الانتماء إلى الوطن مما يغذي العلاقة بين المجتمع المدني والدولة غذاء متينا يضمن مصلحة الوطن ويضع الأسس المؤدية إلى استشراف مستقبل للأفراد و المجموعات أفضل لعل أدنى ما فيه تحقيق التقدم وإنجاز مرتكزات التنمية المستدامة وبذلك يضعف الولاء المرضي إلى ما هو محلي أو جهوي أو قبلي أو عشائري .

وقد بدأت رواسب ذهنية الانتماء الضيق تزول، ولم تبرز آيات هذا الولاء الجديد المنفتح في الخطاب والرؤية والمخططات فحسب بل في الإنجازات والممارسة أيضا وقد نطق الواقع في المجتمعات المتقدمة عن خارطة جغرافية جديدة مؤثرة أثرت في المحيط المادي وكذلك في المحيط النفسي وأعطت الأمل في كل مكان متضمن لأسس المجتمع المدني المهية للمستقبل الأحسن.

العنصر الثاني هو شرط الالتفاف حول النظام والثقة في الدولة الناجمة عن مصداقية الخطاب السياسي ومشروعية السلوك المقنع بالإنجازات بصفة خاصة وهو يقتضي توفر الدولة العادلة.

والعنصر الثالث هو المبادرة وهي عقلية تنكب عن المطالبة . ولا شك في أن المبادرة هي النتيجة المباشرة للعنصرين السابقين وهي العلامة على أن المشاركة تجري على القواعد المنشودة القادرة على تبديل الذهنيات من عادات الطلب والتواكل إلى آليات التصرف الواعي والاعتماد على الذات .

ولا يمكن التعرّض إلى المبادرة بغضّ النظر عمّا يوفره النظام السياسي من ممهّدات موضوعية ضرورية لهذه العقلية.

التطوّع :

تعتبر قيمة التطوع في سياق المجتمع المدني عنصراً جوهرياً يميّزه عن الصيغ الاجتماعية الأخرى . ولا يرجع التطوّع داخل المنظومة إلى قيم ما وراثية أخلاقية مجردة إنه يقوم على المصلحة المشتركة وعلى المسؤولية التي يعيها الأفراد داخل المجتمعات ويضطلعون بها فتأتي المبادرات بطريقة آلية تحكمها الواجبات المدنية في ذاتها لا لعلّة أخرى خارجة عنها .

المجتمع المدني مشروع ذو اتجاهين . اتجاه ينجز واتجاه آخر يستشرف . وهذا يعني أن المسألة تخضع لحركة متواصلة تزداد متانة عبر الأيام . وهي تتطور بطريقة شاملة .

وإن هذه الدلالة - في عدد من العناصر أجملنا بها سائر المعاني الأخرى - تطرح إشكالية إنتاج المعنى في الثقافة الإسلامية المعاصرة وهو من الأعمال الفكرية المنوطة بالمنظمات فينضاف إلى الجانب العملي المتصل بالمجتمع المدني جانب نظري فكري . ولعل السؤال المطروح هو كيف يكتسب النشاط في المنظمات الإسلامية النسق المذكور آنفاً بالقياس إلى المجتمع المدني لأن ما فيه من آليات أو مضامين هي في جملها من مقاصد الشريعة الإسلامية و إن كانت جوانب منها تتنافى هذه المقاصد وتحتاج إلى التعديل والشرط في كل ذلك الذكاء .

لقد بنى الفكر الغربي منظومة المجتمع المدني على نقيض مرتكزات المجتمع التقليدي وقوام هذا المجتمع التحالف بين الكنيسة والسلطة . فالمجتمع المدني منظومة اعتبرت بمثابة ردّ فعل على المجتمع المتدين أو المجتمع الديني . والحاجة إلى تدقيق النظر في مفهوم الدين ووظيفته بالنسبة إلى المسلمين عامة وبالنسبة إلى الجمعيات الإسلامية في سياق

هذا البحث بصفة خاصة حاجة ضرورية . وقد اخترنا تعريفا ورد في كتاب هو دراسة اجتماعية في ظاهرة التدين في الزمن الراهن وقد عمد صاحبه إلى مراجعة المفهوم ووظيفته من داخل الثقافة الأوروبية انطلاقا من القرن ١٥ م. يقول بيتر برجر « Peter Berger » إن الدين هو المشروع البشري الذي يخلق كونا مقدسا وبعبارة أخرى فالدين "كوننة في شكل كون مقدس، ونعني هنا بالمقدس ما يميز قوة خفية رهيبة مختلفة عن الإنسان ويستطيع مع ذلك أن يكون على صلة بها ويعتقد أنها تكمن في بعض الأشياء الخاضعة للتجربة . ويمكن إسناد هذه الخاصية إلى أشياء طبيعية أو اصطناعية وإلى حيوانات أو أناس أو إلى توضعيات الثقافة البشرية... وأخيرا يمكن أن تكون هذه الخاصية مشخصة في كائنات مقدسة من الأرواح أو الملائكة إلى الآلهة الكونية الكبرى وهذه الآلهة بدورها يمكن أن تحوّل إلى قوى عظمى أو إلى مبادئ تحكم الكون... (٢٢ م) وكما تعرّض الباحث إلى وظائف الدين فجعلها على النحو التالي :

- إن الدين يبرر المؤسسات الاجتماعية بأن يمنحها حكما انطولوجيا وصلاحيّة أعلى بمعنى أنه ينزلها في إطار مرجعي مقدس وكوني .
- ينظر الدين إلى منشآت النشاط البشري التاريخية انطلاقا من مركز مرجعي مفيد يتعالى على التاريخ وعلى البشر.
- يؤسس الدين لنظرية التماثل بين عالم الكون والفساد والعالم العلوي وهو ما يعطي تبريرات للنظام الاجتماعي بما ينطوي عليه من تراتب وتفاوت بين الفئات.

- استراتيجية إنتاج المعنى II-3-2

﴿ الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ ﴾ [الرحمن]

المدخل إلى صياغة الفكرة عديدة ويمكن أن نحصرها في ثلاثة عناصر كبرى نرى فيها المجال لنضال جمعياتي طويل النفس هو كالجهاز والنزاد

الضروريين للتعامل الناضج مع المنظمات الدولية :

- صياغة الفكرة على قاعدة استثمار النظرية العلمية في الهندسة الوراثية.

- صياغة الفكرة على قاعدة استثمار النظرية العلمية في الهندسة الوراثية.

- صياغة الفكرة على قاعدة التفاعل مع صناعة المحتوى وهو ما يحيل إلى التكنولوجيا المتطورة.

- صياغة الفكرة على قاعدة التناظر مع نظرية التسويق وهو ما يربط المعنى في الخطاب الفكري بالكون الاقتصادي.

وهذه العناصر الثلاثة هي المنطلق لتأمل الآليات الضرورية لصياغة المعنى في الخطاب الفكري المعاصر الملائم للمنظمات الإسلامية تجاه المنظمات الدولية ولها علاقة بالمحاور التقليدية في هذا الخطاب ولا مجال لإهمالها أو تجاوزها لأن حضورها في الخطاب حضور ذو أوجه أفادت منه تلك المداخل إفادات مختلفة.

- ولهذه العناصر ميزة تتمثل في تجديد الخطاب الفكري : الديني والدينيوي وتطويره وإدراجه ضمن السياق الذي يفرضه روح العصر. ولروح العصر اليوم خصائص يمكن تلخيصها في عنصرين جوهريين هما أولا التسارع بالمعنى المحيل إلى النسق العلمي الذي فرضه العلم والتكنولوجيا وما إليهما من مرتكزات المعاصرة وثانيا التشبيك بما هو العلامة على نمط الحياة الجديد في سياق الإعلامية والإنترنت والواب والملميديا . وإذا كانت السياسة التدبير والتسيير فإن استثمار الآليات المتجددة شكلا ومعنى يصبح ضروريا لتستوفي السياسة شروط حضورها وليستكمل الخطاب الوظائف المنوطة به.

ونعني بالسياسة الدلالة العامة لا الدلالة الخاصة المتصلة بالسلطة

ونظام الحكم فجدير بأن نتعرض إلى سياسة للمنظمات تجمع بين المواجهة والتصدي للتحديات الدولية.

وتحتاج هذه المداخل إلى تمهيد رأينا أن نسلك إليه من ثنائية ذات صلة وثيقة بالموضوع وهي التفكر والثقاف.

التفكر هو القدرة لدى الثقافات والمجتمعات على إنتاج الفكرة من داخل المنظومة التي ينتمي إليها المجتمع ولا سبيل إلى ذلك إلا بتوفر خصائص كان حلها الباحث رالف لنتون Ralf Linton في كتابه التأسيسي Les Fondements de la Personnalite "الأسس اللازمة للشخصية" وهي التلازم بين المجتمع المنفتح والثقافة المنفتحة والقدرة على تجاوز الانغلاق. وبين أن الانغلاق الثقافي والاجتماعي يؤدي إلى العجز عن إنتاج المعرفة والعلم والرؤى الحضارية.

ولا يقدر على الانفتاح إلا المجتمع المتميز بذاتية حقيقية وهي بناء القواعد الثابتة في مستوى السلوك الذهني والمادي معا. والتفكر هو العلامة على إنتاج المعرفة من داخل المرجعية الخاصة بالثقافة داخل المجتمع الواحد وهو الدليل على أن للثقافة في هذا المجتمع منابت قادرة على العطاء. وهل من ريب في أن الثقافة الإسلامية تضمن كل هذه المعاني وهي تحتاج إلى أن تتحول من الوجود بالقوة كما يقول الفلاسفة إلى الوجود بالفعل على شرط أن يقر العزم من المسلمين على ذلك.

إذا كان التفكر المنطلق والسبب فإن الثقاف هو النتاج لأنه تفاعل بين الثقافات وتأثر وتأثير وأخذ وعطاء. وإذا كان التفكر قائما على أسس متينة ناضجة فإن الثقاف لن يجري على الخلل بل على الحاجة المشتركة والمصلحة المتبادلة وسيكون التوازن والتكافؤ علامتين على التوفيق في الحوار بين المجتمعات أو الثقافات أو الحضارات. ولقد انطلق الإسلام منذ البعثة المحمدية الشريفة على هذه القواعد وهذا يحتاج إلى قدرة أهل الذكر من المسلمين المعاصرين على حسن التوظيف بشكل معاصر. وتحتاج معالجة الفكرة في مستوى الصياغة بصفة عامة وفي الخطاب

الفكري بصفة خاصة إلى الظاهرتي التفكر والتثاقف معا .
وإن قراءة الفكرة صياغة ومعنى في الخطاب الجمعياتي عملية تفكيكية
تخول للمتلقي الانتهاء إلى خلاصات واستنتاجات هي وليدة المنهج والآليات
النقدية المتبعة. وليست القراءة إحراما في المقاصد داخل نص الخطاب بل
هي انطلاق من المنطق الذي يحتويه الخطاب ومراعاة للمعاني المتوفرة
مضافة إليها ما تتيحه المقاربة من أكوان دلالية ورمزية ضرورية في عملية
الإنتاج الفكري السياسي بالمعنى الذي أشرنا إليه .

١- صياغة الفكرة والهندسة الوراثية:

أصبح علم الهندسة الوراثية مرجعيةً جوهرية في بنية المعرفة المعاصرة.
فقد تجاوز مادة البيولوجيا واتّصل بما يعبر عنه بالثورة البيولوجية الحديثة
وهي تتطوي على مراحل، المرحلة الأولى هي البيولوجيا الخلوية والثانية
البيولوجيا الجزيئية والثالثة الهندسة الوراثية. وليس المهمّ هنا الوقوف عند
علم البيولوجيا بل المهمّ الربط بينها وبين المجال الثقافي والسياسي.
إن فضل الهندسة الوراثية أنها تحكمت في الجينات وأفضت إلى
الاستنساخ وأعادت تركيب أ.د.ن (ADN) أي الحامض الريبي النووي
المنقوص الأوكسيجين وهو الذي يحمل الصفات الوراثية عند الإنسان.
وقد توصل علماء البيولوجيا عبر التحكم في الجينات إلى تفسير كثير
من المظاهر والأمراض الوراثية. وأدركوا عبر الاستنساخ قيمة المحيط في
الخلية (السيتوبلازم) في التوالد والتخليق وأثبتوا عبر إعادة تركيب أ.د.ن.
الشفرة وهي الرسوم أو التصميمات الهندسية التي توجه عملية إنتاج
البروتينات.

على أنّ بنية العلم البيولوجي هي التي ستفتح الآفاق أمام العلوم
الإنسانية لتحقيق فتوحات لم تسبق بنظير من قبل وأبرز النتائج التي يمكن
أن نسطر هي التالية :

(أ) أصبح من الموضوعي صياغة شكل من التوازي بين عالم الجينات وعالم الثقافة لأنه بات واضحاً أنّ الإنسان يستكمل بعد الولادة جانبه البيولوجي ويكتسب في الآن نفسه جانبه الثقافي. فالتوازي بين السنن البيولوجي والسنن الثقافي أضحى موضوع دراسات وتطبيقات ارتقت بالدراسات عن الثقافة إلى مجالات مخبرية مهمة.

(ب) أصبح من الممكن التعامل مع الموروث الثقافي على أساس التمييز بين النواة (التراث) والمحيط (ما تضيفه الأجيال المتلاحقة). وتأكّدت وظيفة المحيط بالقياس إلى المركز والهامش بالقياس إلى النواة والمحلي أو الجهوي بالقياس إلى الوطني والوطني بالقياس إلى الكوني. فكلّما كان المحيط متماسكا كان المركز أكثر حظاً في النماء.

(ج) أصبح من اليسير فك الشفرة الثقافية للمعالجة وتجاوز الأدواء في المجالات السلوكية الاجتماعية وزرع شفرات جديدة من قبيل الانتقال من التواكل إلى التكافل ومن المطالبة إلى المبادرة...

وقد تخطّى القياس بين هذه العملية وظهور عمليات إعادة تركيب (ال.أ.د.ن.) والتحكّم في الجينات والعملية الثقافية الأسئلة المحرّجة التي طرحتها الثورة البيولوجية على المستوى الأخلاقي.

فما هي علاقة صياغة الفكرة والخطاب الجمعياتي المعاصر بهذه الأقيسة بين الثورة البيولوجية والحقل الثقافي؟ وإلى أي مدى تقبل المنظمات الإسلامية تبني هذه المنهجية استعداداً لرفع التحديات في تعاملها مع المنظمات الدولية؟ إنّ هذا عمل يؤدي إلى التعريف بحقيقة الإسلام لأن فكرة النواة والمحيط كما هي موجودة في علم البيولوجي لها صورة من نوع خاص في الإسلام بوصفه الخلية، وفيها النواة والمحيط وهما أصل الدين والخلية هي القرآن الكريم وتطبيق النبي صلّى الله عليه وسلم لكل تعاليمه «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً». ولا نقبل أن تعتبر الفترة النبوية الشريفة وفترة التأسيس والدعم مع الصحابة

والتابعين وتابعي التابعين من قبيل التراث. فقد ورد في الحديث النبوي الشريف "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، فجعل الأجيال الثلاثة الأولى مالكة لخيرية تأسيسية. كل ذلك هو جماع الخلية ولا فصل أو لفظ بل الأجدر الفهم والتمعن وحسن التوظيف. ولا يعني هذا إضفاء القدسية على هذه الأجيال الثلاثة بل اعتبار خصائص التأسيس المكتتزة وهي تحتاج إلى الاستثمار. النواة هي علم السلف الصالح وعمله بعد الأجيال الثلاثة. والمحيط هو ما يطرأ على الأجيال المتلاحقة وينيظ بكل جيل ووظيفة التجديد على المعنى الذي وردت فيه دلالة الحديث الشريف «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وبناء على أن الله يبعث للأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها. والتجديد هنا لا يقابل القديم بل يقابل الرثيث^(٢٢) فهو العودة إلى الأصل - الأجيال الثلاثة الأولى - فكل زيغ أو انحراف أو كل طارئ ومخالف يعالج بالرجوع إلى الأصل والمعالجة الجينية الثقافية ضرورية في هذا السياق. وهذا نشر لثقافة جديدة صالحة لعمل جمعياتي ملائم للعصر.

لقد وفرت هذه الأقيسة مجالات في التصور الجمعياتي وفي الخطاب الناجم عنهما وأبرز هذه المجالات توجيه الخطاب إلى قطاعات كانت تثير حساسيات دقيقة وكان لها تأثير نفسي واجتماعي كبير.

إن النسبية المقترنة بالثورة البيولوجية أفضت في الثقافة أولاً وفي السياسة ثانياً إلى ظواهر غيرت الأطر المرجعية عند معالجتها كما تغيرت الآليات والمقاصد الملازمة لها.

فالهوية على سبيل المثال وهي مسألة نفسية اجتماعية ثقافية وهي مسألة سياسية أيضاً انتقلت من الهوية المغلقة إلى الهوية المتفتحة ومن الهويات القاتلة حسب عبارة أمين معلوف إلى الهويات المسالمة وأثبتت الدراسات الاستراتيجية قيمة هذا التصور الذي بدّل الجين المحافظ بالجين المتسامح ولقد جاء الإسلام بهذا المعنى وهو يحتاج إلى المعنى والدلالة

والرمز على القواعد المعاصرة: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. المجتمع المسلم يحمل الهوية المنفتحة والمجتمع الجاهلي هويته منغلقة.

وأصبح مفهوم الاقتصاد الجديد كما نفهم بالمقاييس والتأليف من الدراسات المعاصرة جاريا على نسق الـ أ. د. ن. القادر على التركيبات المفضية إلى التعامل بين الأجناس والمجتمعات على قواعد كسرت شوكة الانتماء العقدي المنغلق إلى قوانين المصلحة المشتركة، والإسلام يحمل بالعقيدة الصافية إلى هذه المصلحة دون شك.

خلاصة القول هي أن صياغة الفكرة في الخطاب الجمعياتي أفادت من الثورة البيولوجية ليصبح المحظور بعامل التاريخ والتقاليد أو بعامل الأسطورة والخرافة أو بعامل الوهم والعادات ممكنا (الانتقال في الثقافة الإسلامية من فكرة الاختلاف المرضي السائد بين الفرق والمذاهب فيها وفكرة التباين بينها وبين ثقافات الآخرين. وليصبح المتراكم من الذهنيات والسلوكات الراجعة إلى التخلف فكرياً وعملياً خاضعا لمعالجة تفضي إلى الترشيح والتأهيل والتهيؤ للتحوّلات العميقة في المجتمع الإنساني المعاصر. (الانتقال من المجتمع الأهلي المنغلق وفيه هيمنة شكلها عمودي إلى المجتمع المدني والسلطة فيه ذات شكل أفقي ينهض على معنى الشراكة والمشاركة).

على أن الصلة بين الصياغة والصناعة في الفكرة تحتاج إلى التوضيح وتدفع إلى الإبانة عن الطرق الحديثة في معالجة المضامين الفكرية معالجة تراعي الواقع ومعطياته وتراعي ما تتيحه العلوم الإنسانية والعلوم الصحيحة والمناهج والمقاربات من آليات لها صلة بالمادّة والمواقف والأفكار ولها صلة أيضا بالطرق والأساليب والصيغ.

وخلاصة هذا العنصر تؤكد الوسائل المتاحة بصفة علمية اختبارية نقلت نتائج البحث البيولوجي إلى منطلقات في البحث الثقافي وهي في نظرنا كفيلة بأن تقي الثقافة الإسلامية شر آفتين. الأولى هي آفة التقليد وقد

أصابت جسم المسلمين في ذاته والثانية هي آفة الانغلاق وقد أضرت بعلاقة المسلمين مع غيرهم وهما تحوجان إلى معالجة جينية عميقة وللمنظمات الإسلامية في صلتها المرجوة مع المنظمات الدولية ووظيفة جسيمة في هذا المشروع وهو قابل للتحقق متى فتحت أبواب المؤسسات العلمية ذات الطابع الاختباري والتجريبي لا في العلوم الصحيحة فحسب بل في العلوم الإنسانية أيضا إن لم نقل إن الدراسات الدينية - في الثقافة الإسلامية - تستدعي المناهج المتطورة نظرا إلى وظيفة الدين ومكانته في البلاد الإسلامية.

صياغة الفكرة والتكنولوجيا المتطورة

بات من الواضح أن الإعلام هو من العناصر التي أحدثت في حياة الإنسان المعاصر الانقلاب العميق في كل حقول الحياة وفي جميع أنماط السلوك البشري . فقد نجح في أن يغير من الأعراف الجارية والقواعد التي تنهض عليها القيم الاجتماعية . وليس الانقلاب في هذا الاتجاه بمعزل عن العلاقة الوطيدة بين الفكر والإعلام . فالعالم أضحى منوطا بالخطاب الثقافي موجها بالأهداف التي يرسمها . ومن هنا ندرك القيمة الموكولة إلى الفكرة في الخطاب على مستويين . الأول هو المعنى الكامن في الفكرة والثاني هو الشكل الذي به تتبلور الفكرة . فالشكل معنى والمعنى شكل والأمر متصل بجزئيات عدة تعود إلى طريقة إلقاء الخطاب و طريقة التعامل مع المنصة و مع المصداح إلى غير ذلك من الآليات المحيطة بالخطاب السياسي وبالأغراض السياسية الملازمة له . وهذه تقنية ضرورية للجمعيات الإسلامية وهي وإن بدت شكلية فإنها في التحديات إزاء المنظمات الدولية .

ويعدّ الإعلام كونا متكاملا يؤدي وظائف متعددة يمكن اختصارها في عنصرين كبيرين . العنصر الأول هو إبراز المعنى بما يحمله من القضايا الراجعة إلى رؤية فكرية ما وإلى منظمة أو جمعية ما . والعنصر الثاني هو النقض أو الرد على قضية مخالفة . فالأول صياغة تستجيب لمرتكزات الانتماء ولاستراتيجية التحرك والثاني دفاع ودرء لمفاسد المناهضين أو

المنائين . وهما يتآزران لإثبات الوجود وصون المكاسب . وليس في هذه النتيجة من مبالغة أو إفراط إنها تؤكد وظيفة الإعلام وتعبّر عن ظاهرة طارئة هي انقلاب المقاييس وتبدل المعايير فتتشوه الحقوق وقد تفقد معناها وتؤول إلى شكل آخر يفقدها حقيقتها . ولنا أن نستشهد بما ذهب إليه عالم الاجتماع المتخصص في الاتصالات الإعلامية ماك كويل إذ قال : نحن نستطيع تقصي بعض الظواهر على عدة مستويات - خصوصا - للرأي والمعتقد واللذين قد يكونان من أمور الرأي الفردي والتعبير الجماعي للمؤسسات والمجتمعات كذلك ، و من ناحية أخرى تتطلب منا دراسة تأثير وسائط الإعلام على الطريقة التي تعمل بها المؤسسات أن ننظر في العلاقات بين الناس الذين يقومون بأدوار مختلفة وفي تركيب تلك الأدوار ومضمونها ، والسياسة مثال مناسب، إذ قد تؤثر وسائط الإعلام لا على الآراء السياسية للفرد فحسب بل وعلى الطريقة التي تدار بها السياسة وعلى طريقة تنظيم نشاطها الرئيسي أيضا . وربما تغيرت الأدوار السياسية".

الخلاصة هي أنّ الإعلام بما هو جهاز وآليات و تصورات يمتلك القدرة على صناعة الأفكار وعلى توجيه الرأي العام وعلى نحت الأفهام وعلى التأثير في العقول على مستوى الأفراد وعلى مستوى المجموعات . والأساليب المتبعة في ذلك هي الذكاء (أو الدهاء) في الإيحاءات الإعلامية انطلاقا من استثمار اللغة استثمارا وجيها والبلاغة بوصفها الآلة في الإقناع والإشباع وذلك على مستويين و هما الكلام العادي القائم على التواصل المباشر بين الباحثين والمتلقين أو الكلام التأويلي القائم على فكّ الرموز واستنتاج الدلالات .

نجم عن العلاقة بين الخطاب الجمعياتي المعاصر والإعلام بما هو وسيلة لصياغة الأفكار ونشرها نسق أصبح فيه التلازم بين الثقافة والإعلام أو بين الفكرة و الخطاب قائما على عناصر خاضعة لمرحلة واضحة وهي :

(أ) القدرة على تشكيل الفكرة وصياغة المعنى وتوجيه الرأي . وتتمثل قيمة هذا العنصر الأول في العمل على تغيير العادات السيئة أو المتخلفة واستبدال الوهن بالفاعلية واقتراح الرؤى الإسلامية الملائمة لتحقيق فكرة التقدم والتنمية .

(ب) القدرة على التوسّل بالحوامل الجديدة الناشئة عن التكنولوجيا المتطورة لدعم الفكرة ووضع المرتكزات الملائمة لها والعلاقة بين هذه الحوامل والبحوث النفسية والاجتماعية هي الكفيلة بإنجاح العملية . وياعداد الإطار المرجعي الملائم للرؤى الإسلامية وللمنظمات - في الدرجة الأولى - فرص متاحة لهذه الغاية .

(ج) القدرة على التحكم الموضوعي المتجه إلى المصلحة الوطنية وضمان القيم الإنسانية المتصلة بها وذلك بصناعة المضمون والتأكيد عليه . وإنّ المضامين الإسلامية الأصيلة ذات أثر عميق على أنه يجدر الاهتمام إلى الطرق المفضية إلى تحقيق الأهداف .

(د) مراعاة الصلة بين الباحث (صاحب الخطاب الإسلامي) والمتلقي (على المستوى الفردي والجماعي) حتى يتحقق التأثير وذلك عبر الآليات التالية:

(د/١): لغة التواصل : وهي تحوج إلى السهولة للإفهام والجمالية للتأثير .

(د/٢): لغة الحوار : ونعني به الطاقة على الإقناع بواسطة الأساليب الحجاجية المناسبة . وليس الحجاج جدلاً في هذا السياق بل هو التهيؤ لتبادل الأفكار انطلاقاً من مواطن الاتفاق .

(د/٣): الجمع بين طريقة التخاطب المباشر وطريقة التخاطب عن بعد بحسن استعمال الوسائط المتطورة ويدخل في هذا الإطار الديمقراطية الإلكترونية وسبر الآراء عن بعد إلى غير ذلك مما

يحتاج إلى خطاب ذي مصداقية حتى يضمن لنفسه التفاعل مع المستجديات مهما كان نوعها. وهذا يعني أن ما يواجه الجمعيات الإسلامية في تحديها للمنظمات الدولية لا يقتضي بعث المؤسسات الإعلامية فحسب المعرفة والمهارة والقصد إلى الغاية المنهجية الملائمة أيضا.

الصياغة/الصناعة:

(أ) اخترنا في العنوان عبارة الصياغة لما فيها من وعي بالتماسك بين المعنى والمبنى، بين المحتوى والطريقة لأن في الصياغة أبعادا فكرية وأخرى جمالية ويبدو من خلال الدراسات أن المتلقي المعاصر لم يبق مستعدا لتقبل الرسالة أيا كان مصدرها أو نوعها إن كانت مشحونة بالمعاني دون الانتباه إلى طريقة التعبير عنها وإلى طريقة التقديم وحسن النظم خاصة لا في اتجاه التعقيد أو التأنق والتكلف بل في اتجاه الإقناع وبناء المعاني على القواعد المؤثرة وهي نوعان، النوع الأول عقلي يستند إلى علم الحجاج والثاني مرتبط بالوجدان وهو أعماق الإدراك وباطن النفس. يقوم الأول على منطق في الكلام يؤدي إلى التأثير في المتقبل تأثيرا عقليا والثاني يستند إلى منطق آخر في التعبير يفضي إلى التأثير المباشر لأنه ينطلق من معطيات نفسية اجتماعية قادرة على النفاذ إلى العمق دون وسائط. وما يجمع بين المعنيين السبك والإتقان.

فالصياغة معنى وعلامة ورمز . المعنى المعجمي يرجع إلى التهيئة على المثال المستقيم وإلى الخلق والإبداع وإلى العمل والمعالجة . والعلامة تحيل إلى ضرورة التفطن إلى الجودة في الخطاب مضمونا وشكلا. والرمز يربط الصياغة بمفهومين يؤصلانها في الواقع المعاصر وهما صناعة المحتوى واعتبار مقتضيات روح العصر لأن لهذه العناصر كلها علاقة بالخطاب الجمعياتي المعاصر والخطاب الجمعياتي المعاصر هو في هذا العمل ذو اتجاهين الأول عام يعود إلى الخصائص الملازمة لهذا الخطاب بشكل عام

وهذا على الصعيد الكوني والثاني فيه إشارات إلى الخطاب الفكري في كل بلد إسلامي ولكل المنظمات الإسلامية دون استثناء.

والقصد من هذه الإشكالية الإلحاح على أن الواقع السياسي قد تغير على المستوى العالمي وأن أكثر المجتمعات اقترابا من القيم الكونية هي المتمكنة من استحضار خصوصيات لها تجعلها مشاركة في تلك القيم مثرية لها قدرة على رفع التحديات وتجاوز العراقيل وهو ما أشرنا إليه في المدخل الأول المتعلق بالهندسة الوراثية. فأين دور المنظمات الإسلامية في هذا القصد؟

لم يعد هذا الميدان قادرا على أن يتعامل مع الواقع الجديد بالمواقف والرؤى والأساليب القديمة فقد ارتقى الخطاب بما هو رسالة وتصوّر وطريقة إلى مستوى الجوهر وإلى المطية الضرورية ليتعامل الميدان الفكري (السياسي والثقافي) مع مستجدات العصر تعامللا لا يتجاوز الوظيفة الأساسية له بل يضيف إليها ويدعمها ويفتح لها الآفاق الجديدة.

(ب) يعد انعطاف الحاسوب نحو وسائل الاتصال والصور التفاعلية الجديدة انتقالا من وضع له اكتفى بأن جعل كآلات حساب إلى شكل آخر بؤاه مكانة الآلات الاتصالية وإن التكنولوجيا الجديدة في الإعلام والاتصال داخل القطاع ما بعد صناعي الناشئ عن الالتقاء بين المعرفة والفنون والعلوم والثقافة والتكنولوجيا التفاعلية من جهة والرساميل الجديدة من جهة ثانية مما أفضى إلى مضامين ذات قيمة مضافة متميزة وهذا المدخل هو الذي يدفع إلى تأمل العلاقة بين صياغة الفكرة وصناعتها. وهو الذي يفتح أمام المنظمات الإسلامية أبواب التحديّ إزاء المنظمات الدولية.

لقد برزت منذ سنة ١٩٩٠ مفاهيم جديدة كان لها الأثر في التحولات السريعة ومنها: العولمة والمليديا والواب والتجارة الإلكترونية وامكانية الاتصال الدائم عبر الكرة الأرضية بيد أنّ العنصر الناجع بالدرجة الأولى في التحولات والتغيرات هم رجال الأعمال الجدد والمؤسسات الافتراضية وخاصة

الناشئة الجديدة من شباب الثقافة والتعلم وقد أصبحت التكنولوجيا الجديدة في الإعلام والاتصال عندهم محيطا طبيعيا وهم بلا شك الأجيال الجديدة الأولى للنهضة القادمة. وقد أثرت هذه العناصر في كل مظاهر الحياة المعاصرة وخاصة منها الميدان الثقافي (والسياسي). أليست هذه المفاهيم من مناط العمل الجمعياتي الإسلامي ؟ أليست هذه الناشئة هي هدف يجدر بالمنظمات الإسلامية أن تسعى إليه وأن تخصصه بالاهتمام الضروري.

لهذه التكنولوجيا المتطورة في صلتها بالفكرة وبالخطاب مآثر منها :

- هي القلب النابض في المجتمع الصاعد لأنها تغير أنماط الاتصال بين الأفراد وبينهم وبين مجتمعهم أيضا وهو ما يمس السياسة (بالمعنى العام) رؤية وأهدافا .

- المدرسة ووسط العمل وأساليب الترفيه وهي من العناصر الجوهرية في القضايا السياسية والثقافية العالمية. وإذا كان للترفيه الأبعاد التي أشرنا إليها أنفا فإن ملاحظة تستحق أن نجعلها محورا للنظر والتفكير. ونكتفي بالإلماع إلى فكرة وقفنا عندها بشكل ممتع جذاب في كلام لأبي حيان التوحيدي في كتابه الإشارات الإلهية وخلصتها أن يدرك المرء، بعد المجاهدة وبعيدا عن شطحات الصوفية بل رسوخا في منهج السنة الشريفة، ما عبّر عنه هذا الأديب بقوله «سعادة المؤمن». هذه السعادة لذة منبجسة عن الإيمان تهب للدارسين سبيلا للمقارنة بين ترفيه يدفع إلى اللذائذ الحسية ويكتفي بها بل ويصوغ لها الطقوس وأخريقود إلى المتع الروحية الموجهة لكل لذة مادية.

- الصلة بالثقافة بتوفير النشاط الخلاق بما فيه من التعدد ومعلوم أن الثقافة أضحت المحور الأساسي في مسائل العولة بين الخصوصية والكونية.

- الاقتصاد وذلك باستدعاء صناعة المحتوى وبتسارع الأنماط التكنولوجية ولكل ذلك علاقة بالسياسة (بالمعنى الذي أشرنا إليه).

السؤال المطروح هو كيف مسَّ هذا الكون التكنولوجي الجديد عالم السياسة التي تسيّر المنظمات الدولية بصفة خاصة والخطاب السياسي الملائم لها بصفة أخصّ. وكيف يمكن أن يمثل زاوية تأمل أمام الجمعيات الإسلامية ؟

ترجع وجاهة السؤال إلى الوشائج بين الحقول المذكورة وهي السياسة والاقتصاد والمجتمع والثقافة من جهة والتكنولوجيا المتطورة من جهة ثانية والكلام على صناعة الفكرة وصياغة الغرض لا يمكن الإغضاء فيه عن الحوامل الجديدة المهيئة لنوعية من المعاني بطريقة سريعة على أنها الأنجع في الوقت الحالي في مستوى الحصول عليها وفي مستوى إذاعتها ونشرها أيضا .

إن الملتميديا هي الدينامية المعاصرة المعلننة عن الاقتصاد الجديد ومن هنا تتضح الصلة بالنشاط الجمعياتي رؤية ومنظومة وإجراء في ضوء الصلة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية. فالملتميديا تخلق بامتياز مواطن للشغل وتعدّ للتشغيلية. ومهما كان النسق متسارعا في التكنولوجيا فإنّ الخطاب الجمعياتي مدعو إلى ترويضها من حيث طريقة الإبلاغ والتلفظ ومن حيث الطاقة على توفير المناخ الملائم للمؤسسات الاقتصادية والإعلامية على الارتقاء إلى المستوى المطلوب. وكما يطرح السؤال على الفاعلين التكنولوجيين في قطاع الإعلامية بهذا الشكل: كيف يمكن توفير المجال لمضمون ناجع منتقى بمهارة ؟ السؤال نفسه وبالشكل نفسه يطرح على الخطاب الجمعياتي المعاصر. ونضيف سؤالا آخر مشتركا بين الكون التكنولوجي والكون الجمعياتي وهو : ما هي فوائد الاقتصاد الإلكتروني وهل له أي تهديد على الصناعة الإعلامية ؟ ما هو الوقع الذي تحدّثه الشبكات العنكبوتية لوسائل الاتصال والإنترنت على الممارسة التسويقية والتجارية وعلى الاستراتيجية الملازمة ؟

الخلاصة هي أنّ التكنولوجيات الجديدة في الإعلام والاتصال وفرت شبكات سريعة الأثر والفعل وهي تتيح للإنسان المعاصر أن يضمن الحصول على المعلومة وأن يبقى في حالة اتصال دائمة. وأن أجهزة الإعلام كالإذاعة

والتلفزيون والإعلامية توفر المواد الإخبارية والمعلومات بنسق متسارع إلى درجة أننا وصلنا إلى تحديد جديد للفضاء والملازمة الزمن والتعامل معه فأصبحت عنصرا جوهريا من عناصر التنشئة الاجتماعية. ولا يتسنى الخوض في الفكرة ضمن الخطاب الجمعياتي المعاصر بغض النظر عن هذه المعطيات التي تقدمها التكنولوجيات الجديدة لأنها استوعبت العناصر التقليدية الموروثة وكذلك العناصر الطارئة ولعل أبرزها التسويق للفكرة.

٣- صياغة الفكر ونظرية التسويق

توجد بديهيات في نظرية التسويق لا تحتاج حتما إلى أهل الاختصاص والذكر. مفاد هذه البديهيات هي : أولا أن النظرية ذاتها كانت محفوفة بلبس جعلها تتداخل وظاهرة البيوعات بالمعنى الضيق للعبارة. وقد اكتفت بنشاط الممثلين العارضين وبتوزيع البضائع ماديا وبالفتكرة. وثانيا أن المؤسسات وعت شيئا فشيئا ضرورة التطوير للأسواق فضلا عن الاجتهاد في الحفاظ عليها والتمكن منها. كما أدركت أن النجاح لا يخضع لتوفير البضاعة عبر الإذعان للدراسات الاجتماعية والنفسية أي لا مجال لإنتاج البضاعة قبل التأكد من النجاح في الترويج وقبل استطلاع الحاجة في السوق لضبط نوعية الإنتاج والتسعيرة الملائمة له. وثالثا إن للزبائن مكانة جديدة هي أن توفر لهم البضائع وبالثمن المستساغ وأن يكونوا راضين على مشترياتهم وأن تضمن لهم الخدمة بعد الاستعمال فنحن في هذه البديهيات إزاء وجه جديد للبيع وللتسويق تراعى فيه الصلة بين الباط (المنتج/صاحب المؤسسة) والمتقبل (الحرفاء) على أساس العرض والطلب على قاعدة التأكد من امتلاك السوق وإغرائها واستمالة أصحابها وإرضائهم بصفة خاصة.

ولا ندعي أن القياس الصحيح بين عالم البيع والتسويق من ناحية وعالم النشاط المنتظر من الجمعيات من ناحية ثانية إلا أن ملاحظة العناصر التالية ضرورية.

- للتكنولوجيا المتطورة تأثير في عالم الاقتصاد وفي التسويق بصفة

واضحة فلا يعقل اليوم أن تدرك مبادئ التسويق الناجعة خارج دائرة الكمبيوتر والإنترنت والويب والمليديا. ولا يرجى من التسويق الفوز بالسوق والارتقاء بالبضاعة إلى مستوى الرواج إلا بالطرق المستحدثة. وللتكنولوجيا المتطورة تأثير في الكون الجمعياتي كما أشرنا إليه ولا يرجى اكتساب الأنصار وإقناع أهل التصور الجمعياتي المشترك دون خطاب قادر على التسويق للمضمون الجمعياتي وهو ما يحيل إلى صياغة الفكرة على نحو يلتمس من علم التسويق بعض مرتكزاته.

ويؤدي الكلام على نظرية التسويق إلى حقول ثلاثة :

- التسويق المتصل بالدراسات Marketing d'étude

- التسويق المتصل بالاستراتيجية Marketing stratégique

- التسويق المتصل بالجانب الإجرائي العملي Marketing opérationnel

كما اتسعت دائرة التسويق في مستوى المضامين والوظائف وميادين التطبيق. وامتدح التسويق بفضل هذه الميزات كل الميادين ومنها الخدمات العامة والصناعات والقطاعات غير المادية فضلا عن الأحزاب السياسية والعمل السياسي بصفة عامة انطلاقا من المؤسسات العمومية ومن الجمعيات والمنظمات. وأصبح للتسويق تعريف جديد يمكن تلخيصه في كونه مجموع الوسائل والطرق لدى تنظيم ما أو مؤسسة ما للنهوض بالمقومات الضرورية ولتحقيق الأهداف في ضوء السلوكات الملائمة للوصول إلى الغايات المرسومة.

يمكن استجلاء ست مراحل في التسويق نقف عندها في اتجاهين الاتجاه الاقتصادي والاتجاه الفكري الجمعياتي. ونرمي من خلال ذلك إلى الإبانة عن العلاقة العضوية بين حقول الحياة المعاصرة أي بين السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة و ما إليها من المكونات الأساسية سواء من جهة المؤسسات والجمعيات والمنظمات أو من جهة المبادئ والقيم.

الحقل الاقتصادي الحقل الفكري (الجمعياتي)

١- التحليل

- الوقوف على الخصائص والضغوط ورصد مواطن القوة والضعف للوصول إلى مرحلة القدرة على صياغة الفكرة المرجو الدعوة إليها.

- معرفة الواقع السياسي الكوني بشكل مخبري لا يهمل الجزئيات واستكشاف الخصائص الذاتية والموضوعية للواقع من زواياها المختلفة : المجتمع - الاقتصاد - الديمغرافيا - الثقافية. ومعرفة الواقع الجمعياتي بصفة خاصة.

٢- الدراسة

الحقل الاقتصادي الحقل الفكري (الجمعياتي)

ينتهي التحليل إلى رسم النقاط الجوهرية الضرورية للسوق وتحديد الأهداف والغايات لإنجاح الترويج ولا شك في أن هذه العملية خاضعة للتحوّلات التي تتهدد السوق.

- يُراد من الدراسة ضبط الأهداف ونحت الرسالة نحتا محكما يجعل العلاقة بين الفكرة وطريقة التعبير عنها قائمة على الدقة ومعرفة أجواء الخطاب معرفة عميقة.

٣- تحليل قنوات التأثير

الحقل الاقتصادي الحقل الفكري

- المراد من التسويق المادي الانتهاء إلى التأثير الإيجابي وهذه القنوات قد تكون : الدولة - المنظمات والمؤسسات العمومية - زعماء الآراء (من يمتلكون تأثيرا ملموسا في المجموعة الاجتماعية)

- يتمثل التأثير الإيجابي في أطراف خاصة بالكون السياسي وذلك فضلا عن جهاز الدولة وما يتبعها من المؤسسات وأبرز طرف هو منظومة المجتمع المدني (الأحزاب - المنظمات - الهيئات - الجمعيات...) ويشترك

الحقل السياسي مع الحقل الاقتصادي في البحث عن أصحاب التأثير في الأفراد والمجموعات. ويتم جانب من هذا عبر العمل في الجمعيات.

٤- التسويق القلْبُ (Mix)

لا يقصد بالقلب التقلّب بمعنى الهشاشة بل القلب بمقتضى الفعل، والغاية من الإفادة فهذه العناصر الراجعة إلى التسويق تتحدد وظائفها وأفعالها بالحاجة والأولويات وبالتخطيط والتصميم.

٤- (أ)- المنتج

قد يكون المنتج في الاقتصاد وفي السياسة مفهوماً أو فكرة أو قيمة مجردة (كالمساواة الاجتماعية) أو سلوكاً يراد له التعريف والدعوة إليه (كالسلوك الحضاري) وقد يكون جملة من المفاهيم تتغير في ضوء الأهداف المرسومة.

وأجلى مظهر في الثمن اللامادي داخل المنتج الفكري أو ضمن الخطاب الفكري المعاصر تخلي المنتخبين عن أفكار حزب أو جهة لفائدة حزب آخر أو جهة أخرى ومعلوم أن كسب أصوات الناخبين لا يمكن إلا أن يثمن معنوياً والقياس ذاته صحيح بالنسبة إلى الجمعيات واعتبار المنتج في الجمعيات الدولية ضروري لیتسنى حسن التصرف وتحقيق الأهداف.

٤- (ب)- الثمن

إذا كان الثمن أو السعر في الحقل الاقتصادي ضرورة للتبادل والتعامل وهو ما يدفع مقابل الاستهلاك للبضاعة أو للفكرة فإنه في حقل النشاط في المنظمات يخرج عن دائرة المال والتبادل إلى دائرة المصلحة وصياغة الفكرة الراجعة إلى برامج مسطرة فنخرج من الثمن إلى التثمين. وكذلك في العمل داخل الجمعيات بحثاً عن المصلحة التي تسعى إليها وأعظم ما يواجه المنظمات الإسلامية الكشف عن حقيقة الإسلام والإقناع بضرورة تطبيقه تسويقاً لمعنى الرحمة وما يتولد عنها من الفروع.

ويمكن أن نضرب مثلاً على سبيل القياس شركة United Calours وهي لا تقدم إعلانات مباشرة لترويج بضاعتها بل تجتهد في Benetton صياغة أفكار تستلهم من مقاومة التمييز العنصري ومن التفرقة على أساس اللون فانتقلت المؤسسة من التسويق المادي إلى التسويق الاجتماعي. وهو ما يتيح اتجاهها في صياغة الأفكار في الخطاب انطلاقاً من الذكاء في التعامل مع المتلقين أي مع المواطنين بكل شرائحهم. ولعل للجمعيات والمنظمات الإسلامية الموجودة أو المنشودة الدور الكبير للربط بين الاقتصاد والمسائل الإنسانية في العالم إذ إن المخزون الإسلامي في هذا السياق لافت.

٤- (ج) - التنزيل

وهو تيسير الطرق لتطبيق الفكرة بعد صياغتها وصناعتها. وهو حسن التنزيل باعتبار القضايا والظروف والإمكانات مما يمكن تلخيصه في القولة لكل مقام مقال وهو يعني امتلاك قائمة من الأفكار والتصرف فيها حسب الأحوال والأزمنة والأمكنة. وهي استراتيجية للعمل داخل المنظمات وآلية من آليات التحدي إزاء المنظمات الدولية لأن الثقافة الإسلامية غنية بالمواقف والأفكار والمعاني الضامنة لكرامة الإنسان الحقيقية.

٤- (د) - الإشهار

تؤثر نظرية «التسويق» للأفكار الإشهار المباشر على الإشهار عبر وسائل الإعلام. فهو اتصال من نوع خاص يرصد الأحداث والعلاقات العامة ويحسن استثمارها والإفادة منها. ومن أبرز الأوجه في هذا العنصر الشعارات المنتقاة بذكاء، بالذكاء الطبيعي أو بالذكاء العاطفي أو بالذكاء الاصطناعي. فمن مقومات الدعوة الناجحة اختيار الشعارات وحسن توظيفها. وأي شعار أفضل في مجال الحريات - على سبيل المثال - من قولة عمر بن الخطاب : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

٥- الميزانية

الحقل الاقتصادي الحقل الجمعياتي

- تقرير المقدار المالي في عملية الاستثمار والإستشهار والبيع في ضوء إمكانات المؤسسة والغايات التي تسطّرها .

- يتصل تقدير الميزانية بالتصرف التجاري في الفكرة في ضوء الوسائل المتاحة والأهداف المرسومة وهو ما يحيل إلى ظاهرة جديدة في الخطاب الجمعياتي وهي التصرف بالتعاون مع مؤسسات المجتمع في إطار مبدأ الشراكة بوصفه رأس مال غير مادي ذي قيمة كبرى.

٦- الإجراء

- يستوجب طور التنفيذ احترام الخطوط الكبرى التي يقوم عليها المشروع ومراعاة الرهانات المتصلة بالسوق

- يضاف إلى ما يتصل بالجانب الاقتصادي التعامل المتوازن بين خصوصيات الخطاب الجمعياتي (المصلحة الوطنية - التنمية...) والظرف الملائم لصياغة الفكرة في مستوى الترويج لها بما يضمن لها أسباب النجاح. إنَّ خاصية الخطاب الجمعياتي أنَّه هندسة تصوّرات ورؤى وأفكار ومواقف واتجاهات في الآراء وانتظارات إذ هي تجري في فضاء افتراضي ثقافي أساسه الواقع وفي فضاء نفسي اجتماعي وهو حقل تتوازي فيه النزاعات وتتقاطع.

ويمكن اعتبار هذه الخاصية رأسمال رمزي يختزل الرساميل الأخرى (الرأسمال الثقافي والرأسمال الاجتماعي والرأسمال الاقتصادي والرأسمال السياسي) وصاحب الخطاب الجمعياتي هو الصائغ ومادته هي الواقع المتموضع objectif ومنهجه يلخص في الرؤية الثاقبة التحليلية و القدرة على الاستشراف و استباق الأحداث و توقع الإمكانيات لكل الوضعيات المفترضة

II-3-3-الحوار-3-3-الحجاج من أجل الحوار

﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف : ٣٤]

ما معنى الحجاج ؟

الحجاج أنواع عديدة منها ما يتصل بالبلاغة كما عرفها القدامى سواء عند الإغريق (أرسطو بصفة خاصة) أو عند العرب . ومنها ما يتصل بالبلاغة كما عرفها المحدثون في ضوء المقاربات والمفاهيم الحديثة فالحجاج قديما متصل بالجدل كما حدده أرسطو وبالبلاغة كما عرفها العرب ابتداء من الجاحظ بصفة خاصة وهذا النوع لا يعنينا في هذا العمل والحجاج حديثا وهو غايتنا ومقصودنا ، ذو علاقة بحقلين ، الأول هو اللغة ولا يعتبر فيها - هنا - إلا المدخل اللساني لأنه هو الذي أضفى على اللغة معنى النسبية وجعلها كائنا في ذاتها له قوانين مميزة منها القدرة على حمل المعاني الكثيرة والدلالات المولدة فلم تبق اللغة وسيلة تعبير بل أضحت كيانا خلاقا والحقل الثاني هو الفلسفة الحديثة التي استفادت من العلوم الصحيحة و من الرياضيات والفيزياء على وجه الخصوص لتصبح قائمة على مرتكزات جديدة كالنسبية والعقلانية وما يجمع بين الحقلين في دائرة الحجاج هو الحوار .

الحجاج : اللغة (اللسانيات) + الفلسفة (النسيبيات) الحوار وثمة إجماع على التمييز بين الحجاج والاستدلال إذ للحجاج إطار وجداني وللاستدلال إطار عقلي الاستدلال طلب للدليل الموضوعي المنزّل في المقام الملائم له داخل حدود مرسومة لا محيد عنها فهو يتغذى بالرياضيات والفيزياء إلى غير ذلك من العلوم الصحيحة فضلا عن المنطق.

والحجاج طلب للحجة قصد الإقناع أو الإشباع والإقناع تعاقب بين الباث والمتلقي على أساس الاتفاق على الفكرة في منطلقاتها وكذلك في مقاصدها وأهدافها مع توفر مساحة من النسبية تفرضها طبيعة القضايا المطروحة كمسألة التنمية والديمقراطية على سبيل المثال وهما لا يخضعان لقواعد

صارمة بقدر ما يحتاجان إلى الملائمة بين المبادئ التي يصدران عنها والأوضاع التي يرغب في تطبيقها عليها والإشباع تعاقد كل بين الباث والمتلقي على قاعدة ثابتة هي من الضوابط التي تمثل النواة في بلد ما وثقافة ما كمسألة الانتماء والوطنية والقيم الأصيلة كالتسامح والتراحم... فالإشباع لا يسمح بمجال للمناقشة أو الاختلاف لأنه يتصل بالقضايا الجوهرية.

فإذا كان الاستدلال عقليا محضا فإنه لا يتسع إلا لما يقبله العقل وقديما قال الفيلسوف كانط لا تعطوا للعقل أجنحة لأنه يضيع وإذا كان الحجاج وجدانيا صرفا فإنه يمتلك إطارا واسعا يلائم الاتساع الذي يتميز به الوجدان. على أن الفرق واضح بين العاطفة وهي تزول وتتبدل نتيجة الانفعالات والوجدان وهو قار في باطن الإنسان وقد وصفه أبو حيان التوحيدي في كتابه الإشارات الإلهية بالقلب العقول فالوجدان يستوعب العقل ولكنه يتجاوز حدوده في آن.

ب - العلاقة بين الحجاج والقضايا الفكرية والعمل داخل المنظمات.

للحجاج اليوم ، في العالم المتقدم شأن كبير في مجالات شتى لم تكن من قبل من الدائرة التي يحتضنها كالسياسة والاقتصاد والتكنولوجيا ولعل ابرز سبب في هذه المنزلة الجديدة الصلة الوثقى بين الحجاج والخطاب وإن للخطاب وظيفة عظيمة في تعامل رجل الفكر مع الرأي العام الداخلي أو الخارجي . وللحجاج في هذا السياق شكل خاص ودلالة متفردة وله مرتكزات نريد أن نؤكد لها وهي تضاف إلى العناصر الموروثة عن البلاغة كالاستعارة والقياس والبرهنة .وهي آلية لا مفرّ منها في خطاب العاملين بالمنظمات.

(ب) ١ الحجاج السلطة :

وهو استعمال مرجعية ذات شهرة و مكانة يبني عليها صاحب الخطاب - في إطار الحوار المتكافئ بين الجمعيات الإسلامية والجمعيات والمنظمات الكونية - الحجاج الذي يسعى به إلى الإقناع والاستناد إلى ما هو متفق عليه معروف ذو مصداقية .

(ب) ٢ الاستدلال التلقائي التركيبي :

معنى الاستدلال التركيبي في هذا السياق خارج عن المعنى الذي أشرنا إليه آنفا فهو يوصف بالحدسي نظرا إلى التلقائية التي يصدر عنها ونظرا إلى ما يترتب عليها من الخطأ المنهجي رغم ما يوهم به من صحة البناء المتجلية من تشكلها في الخطاب فقدره المتكلم كفيلا بالإيهام بأن ما يقوله حقيقة وهو ما يؤدي إلى مفهوم جديد هو المناورة أو التلاعب بالجمهور . ويغلب هذا النوع من الحجاج في صياغة العلاقة بين الأفراد والمجتمعات كقولنا هذا البلد متحضر فهو لا يعني أن كل أفراد متحضرين والغاية من هذا الحجاج القائم على الاستدلال التلقائي التركيبي حمل المتلقين في الحوار على تقبل الأحكام والتقييمات وتوجيه عنايتهم إلى الغاية التي يريدها الباث . وهو في الوضع الذي يعيشه المسلمون اليوم من الوسائل التي تعدل في موازين القوى بينهم وبين غيرهم على النحو التالي :

- موازين قوى مادية (قوة اقتصادية)

- موازين قوى معنوية (قوة الخطاب - القدرة على المحاوراة والإقناع)

هي القوة الذهنية المؤدية إلى التكافؤ وهي القادرة على تغيير الأوضاع

ولنا في الفترة المكية في السيرة النبوية العطرة المثال على ذلك

فقلب الموازين من البعد المادي إلى البعد المعنوي لا يتحقق إلا في ضوء

الحجاج بكل أنواعه وبالاستدلال التلقائي التركيبي بصفة خاصة وهو ما

ينكشف في المواطن التالية خاصة : وقد أصبح للخطاب (اللغة - الأسلوب

- الحجج - السياق - سجلات الكلام المستعملة) نفوذ على مساحتين:

- مساحة الحوار (حتى وان كان ضيقا محدودا)

- مساحة الاتصال عبر وسائل الإعلام الموسعة

والمقايضة هي تحويل اتفاق حاصل حول مسألة معينة بفضل التشابه

بينهما وبين المقصد من الخطاب في عملية الحوار .

وينتج عن المقايسة مبدأ في الحجاج يمكن أن نسميه الترسوخ وهو يخص ما يريد صاحب الخطاب من المتلقين في مستوى المواقف السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية حرصا على أن يغرسه من رؤية وعلى أن يرسخه من هدف وذلك عبر الآليات التالية :

هذه العناصر صالحة لوضع الخطط الملائمة للحوار ولبناء آلياته على أسس متكافئة .

فللقوة المادية (بكل أنماطها) دور في الحوار إلا أنها كثيرا ما تؤدي إلى الحوار اللامتكافئ (بمنطق غلبة القوي)

وللقوة المعنوية بالحجاج دور في جعل الحوار متكافئا بناء على قوة الفكرة وعلى قوة المنهج المتبع وقوة الخطاب الصالح لعملية الحوار بناء على عنصرين .

١- يوجد اتفاق - أو شبه اتفاق - على فكرة تجعل للحجاج مكانة كبرى في صياغة النشاط عامة والخطاب خاصة إذ للخطاب مرتكزات نذكر منها الامتلاء بالافتتاحات والتوجه إلى الفعل مما يجعل له صلة وثيقة بالبلاغة بمعناها القديم وبالنظريات المعاصرة في الخطاب وأساليبه والاتصال ووسائله حديثا وليس بعيدا أن يحظى الخطاب باهتمام دقيق قد يبوئه مكانة الجنس ذي الخصوصية المحتاجة إلى الدرس وحسن الاستنتاج على مستويات كثيرة منها :

- طبيعة العلاقة بين النظريات والأنماط والممارسة .
- نوعية الفعل المسرحي في الحيز السينغرافي الملائم للخطاب وهي من الأساليب المستخدمة بشكل رائع عند المؤثرين سياسيا واقتصاديا وثقافيا .
- ما هي العلاقة بين الاستدلال والحجاج والجاذبية والمناورة في الخطاب
- ضرورة الوعي أن الخطاب المعاصر بحاجة إلى بلاغة مختلفة عن البلاغة التقليدية هي بلاغة الحداثة ومسامها الحجاج

- أبرز ما ينبجس عن الحجاج

* الإقناع

* الإشعار

* أنماط التفكير العقلي

* أنماط التعبير

- أبرز ما يتضح من الصلة بين الحجاج والقضايا الفكرية

* عدم الاكتفاء بالبرهنة على الحقائق أو على الوقائع

* القدرة على التأويل (على مستوى الحقائق والوقائع) لصالح الرؤى

السياسية الحزبية والمذهبية ولفائدة المنظمات والجمعيات بصفة خاصة.

* التقاطع بين القرارات وحسن التمثيل فمن يوجه إليه الحجاج يفترض:

* أنه مدعو إلى اتخاذ قرار وتحديد اختيار

* أنه يجد من يمثله عبر الطريقة الحجاجية التي ينتهجها في الخطاب أو

في الممارسة

* أنه يجد هوية واضحة من خلال تبني محتوى الخطاب (وهو راجع

إلى براعة الخطيب)

٢- الحجاج سعي إلى إقناع الآخرين عبر توفير الأسباب المعقولة الممكنة

للتعامل مع المواد المطروحة

* يرتبط الحجاج بتبادل الآراء وبالحوار

* يحرص الحجاج على إضفاء التناغم على القول الاجتماعي

* ليس كل ما يطرح على المناقشة هو الحقيقة عينها

لا شك في دور الحجاج في العصر الحديث ولا شك أيضا في أنه على

المنظمات الإسلامية أن تتسلح بهذه الطرق في الخطاب فإن طريقة الخطيب

وأسلوبه الجدلي وفكره الخلاق فضلا عن براعته حجة للثقافة الإسلامية

على المناوئين وخلاصة هذه الحجج لديه : هي القدرة على حسن الإقناع بالملف الذي يقدم والنشاط الذي يخوض.

هذه العناصر متضافرة تؤدي إلى الأسباب الموضوعية القادرة على أن تجعل الحوار متكافئاً أو متهيئاً للتكافؤ بين الأطراف من قبيل :

- الأشخاص

- النظم السياسية (ومن يمثلها) وشعوبها

الهيئات والمنظمات

عناصر المجتمع المدني

و يقتضي مواجهة المنظمات الإسلامية التحديات على الصعيد الكوني حسن اختيار الآليات ولا شك في أن للحجاج فيها دورا عظيما.

الخاتمة :

لا يناط بعهدة المنظمات الإسلامية - غير الحكومية بصفة خاصة - كسب الرهانات ورفع التحديات إزاء المنظمات الدولية فحسب بل يضاف إلى ذلك أيضا مسؤولية أخرى قد تكون الفاصل العميق بينهما. فإذا كان الانخراط داخل النسيج الجمعياتي والمنظماتي العالمي ضروريا فإننا نلح على مستويين متلازمين آخرين. المستوى الأول حاجي وهو أن تتحقق أهداف المنظمات الإسلامية في ضوء الصدق - الذي أمر به الإسلام - والنجاعة - وهي من القيم الإسلامية السامية. الصدق قيمة أخلاقية والنجاعة قيمة سلوكية. ويربط بينهم الوضوح والشفافية لأنه لا يصدر عن المسلمين - الحقيقيين - إلا الخير ولا يبقى عملهم إلا الصلاح فلا مجال للمكيالين ولا مكان لإخفاء نصف الحقائق ولا معنى لفرض الهيمنة باسم التعاون الدولي وإملاء الشروط الفكرية أو المادية تعسفا وقهرا.

لقد صدر كتاب بعنوان «سراب المساعدة الدولية» لدفيد سوجي David

David Sogge Les mirages de l'aide internationale, enjeux planète Tunis 2003 (1)

الخبير المستقل في مجال تحليل صناعة المساعدات الدولية^(١) أكد أن Sogge التعاون المشوب بالإكراه السياسي والثقافي يسرع إلى خدمة القوة الواحدة في العالم. فظاهر التعاون الدولي خير ولعل باطنه شر. وسطحه إنساني ولعل بطنه جشع أمريكي. الحاجة أكيدة أمام المنظمات الإسلامية إلى فعلي كوني قادر على أن يعطي صورة أخرى للتعاون الدولي وللقيم البشرية الأصيلة وإن جوهر الدين الإسلامي مطية لتحقيق هذه الحاجة. والمستوى الثاني تحسيني أو تكميلي وهو مستقبلي وقوامه على الريادة للمنظمات الإسلامية إذ إن الدرس من المستوى الحاجي يولد نموذجا آخر - ينطلق من واقع المنظمات الدولية و ما تمتلك من حقيقة م ما تمتلك أيضا من الطاقة على أن تتجاوزها - مختلفا يحقق الأهداف ولا إذلال ويجسم الغايات ولا تعسف لأنه الأقدر على أن يؤسس لنظام عالمي قائم على الاحترام والمغايرة. لقد عرف الإسلام منذ بداية الدعوة النبوية في مكة المكرمة على أنه رحمة ولقد عرفت مراحل من تاريخ المسلمين خطأ مختلفا نكب عن الأصل وانزاح عن الاستقامة والاقوم. وقد حان الوقت ليعود للثقافة الإسلامية بريقها بثوب العصر، عصر التكنولوجيات المتطورة، ولببوس المستقبل مهما كان نوعه أو لونه، قال تعالى يخاطب نبيا كريما «يا يحيى خذ الكتاب بقوة» فعسى أن تخرج الثقافة الإسلامية - عبر المنظمات في سياق الحال - عن ذهان القوة إلى القوة الجلييلة.

صفحة أبيض